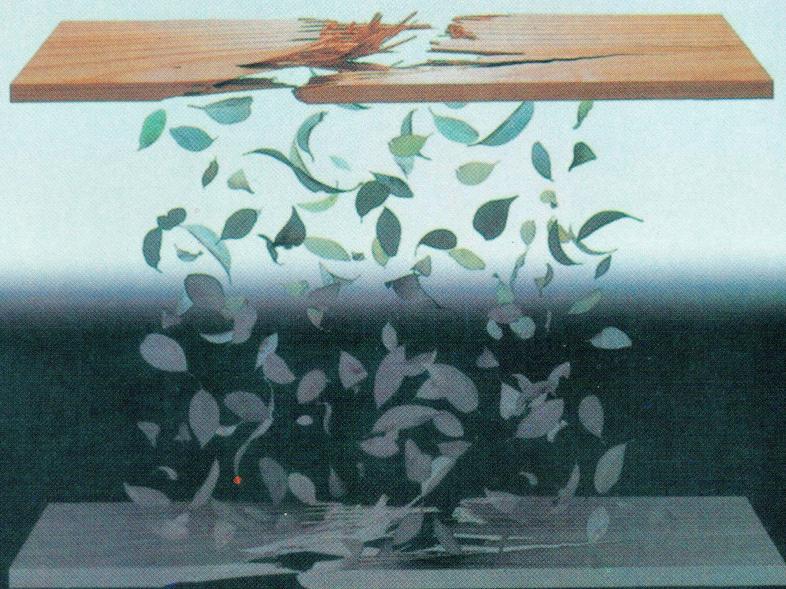
تأملات تاريخية

عِبَرُ الخَبَرِ



محمد بن إسماعيل آل بيوض التميمي

دار ابن حزم

تأملات تاريخية

عِبَرُ الخَبَر

محمد بن إسماعيل آل بيوض التميمي

دار ابن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

إهداء

إلى السويس
المدينة الساكنة في قلبي.

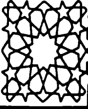
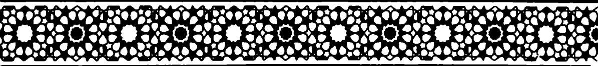
محمد بن طه بن إسماعيل آل بيوض التميمي الداري
الدوحة... دارة ابن تميم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد...

لقد عايشتُ التاريخَ منذ نعومة أظافري، في بيتنا قصصاً تُروى، وبين يدي مشايخي أحداثاً تُستذكر، وعبراً تُستخرج، ومواقف تُحللُ، فكبرتُ معه، أعودُ إليه بين الفينةِ والأخرى، كلما نزفت روحي آلامَها، وأستنطقه حيًّا يُجاوبُها ويداوي جراحها... لكنني لا أقصد أحداثه قصداً بل أتابعه حياةً وفكراً، وألهث خلفه عبر بواباته في قراءة لعبر الخبر.



الفصل الأول:
شيء من الحقيقة

- الثورة على الإسلام ١، ٢، ٣.
- اعترافات.
- أبيدوا خمس المسلمين.
- روسيا.
- روبل واحد.
- الموريسكو.
- أم عنقود.

الثورة على الإسلام (١)

كتب المؤرخ الألماني أرنولد أوف لوبيك يقول «سوف أحكي الآن أشياء عن هذا «الأكبر» قد تبدو غريبة ولكن أكد صحتها في شهود يوثق بهم، لقد استطاع هذا الشيخ بطرقه السحرية أن يغري قومه بأن يعبدوه ولا يقتنعوا بإله سواه، وأغواهم بطريقة غريبة مستخدماً الآمال والوعود بالمسرات والبهجة الخالدة حتى جعلهم يفضلون الموت على الحياة».

هذه إحدى الدواهي على الإسلام، بل هي الطامة الكبرى والمعضلة العمياء، ومع تصريحهم بهذه الحماقة والتزامهم لهذا المذهب السخيف يتعاطون بزعم الدخول تحت سمة الملة الإسلامية ويتضاهون بملابسة الشريعة المحمدية، وأنَّى تتلاقى الأضداد. وشتان بين الغي والرشاد، والإصلاح والإفساد.

لقد كانت ثورة على الإسلام تهدف إلى شيءٍ واحدٍ وواحدٍ فقط، هو تفجير الإسلام من داخله،

واغتياله ببرهانه وسيفه، تلك حقيقة سعيهم وكدهم وهذا تاريخهم وواقعهم، فجأة بعد عامين ونصف العام من ولايته وفي منتصف شهر الصوم أعلن قيام «العهد الألفي السعيد». . . ففي اليوم السابع عشر من شهر رمضان من عام **٥٥٩ هـ** (٨ أغسطس **١١٦٤**) تحت صعود العذراء وعندما كانت الشمس في برج السرطان أمر «حسن» بإقامة منبر في فناء «ألموت» يواجه الغرب ترفرف على أركانه الأربعة رايات بيضاء وحمراء وصفراء وخضراء. . . وجاء الناس من مختلف الجهات وكان قد استدعاهم من قبل إلى «ألموت» وتجمعوا في الفناء، فالذين أقبلوا من الشرق لزموا الجانب الأيمن والذين جاءوا من الغرب وقفوا على الجانب الأيسر والذين جاءوا من الشمال، من رودبار والديلم، وقفوا في مواجهة المنبر، ولما كان المنبر يواجه الغرب لذلك كانت ظهور المجتمعين نحو مكة ـ وما الذي حدث؟ . . .

بعد قرابة الظهر نزل «حسن» من القلعة مرتدياً، ثوباً أبيض وعمامة بيضاء، وتقدم نحو المنبر من الجانب الأيمن، وارتقاه في خطى وئيدة، وتوجه بالتحية ثلاث مرات الأولى إلى أهل الديلم ثم إلى الذين على اليمين ثم إلى الذين على اليسار، وظل جالساً برهة ثم وقف

مرة أخرى وهو ممسك بسيفه وتحدث بصوت جهوري مخاطباً سكان العوالم الثلاثة عالم الجن وعالم الإنس وعالم الملائكة فأعلن أنه قد وصلته رسالة من الإمام المختفي تحمل تعليمات جديدة تقول: إن إمام عصرنا يبعث إليكم تحياته وسلامه ويبلغكم أنه دعاكم خدمهُ الخصوصيين المختارين، وأنه حرركم من أعباء قواعد الشريعة وأحضركم القيامة، وعندما أتم «حسن» خطبته نزل من على المنبر وصلى ركعتين أسماهما صلاة الاحتفال ثم أمر بالمائدة فمُدَّت ودعا الناس إلى قطع صيامهم والمشاركة في الطعام والابتهاج».

نعم فهو احتفال «العهد الألفي السعيد» وكلها «ألفيات» ولكل «ألفية» احتفال، فمن يكون «حسن» هذا؟ وما هي نحلته؟ إنه حسن بن محمد بن بزرجميد، القيادة الثالثة لقلعة «ألموت» الإسماعيلية بعد موت الحسن الصباح كما يقول المؤرخ الجويني: وفي ليلة الأربعاء ٦ ربيع ثان عام ٥١٨ (٢٣ مايو ١١٢٤) انطلقت روحه عائدة إلى نار الله وجحيمه.

وتولى بزرجميد ومِن بعده ابنه محمد ومن بعده الحفيد «حسن» الذي أعلن انتهاء الشريعة الإسلامية على هذا النحو الجنائزي المهيب، وهؤلاء كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان حقيقة دعوتهم المسماة

«البلاغ الأكبر، والناموس الأعظم» ـ مضمون البلاغ الأكبر جحد الخالق تعالى، والاستهزاء به، وبمن يقربه، وحتى قد يكتب أحدهم اسم الله في أسفل رجله، وفيه أيضاً جحد شرائعه ودينه وما جاء به الأنبياء ـ.

لقد كانت ولا تزال ثورة يقصد بها فكريًّا وعمليًّا اجتثاث الإسلام من جذوره، وأنَّى لهم؟!.



الثورة على الإسلام (٢)

قال ابن الأثير: وحدثني بعض الأسرى منهم أن له والدة ليس لها ولد سواه ولا يملكون من الدنيا غير بيت باعته وجهزته بثمنه وسَيَّرته لاستنقاذ البيت المقدس، فأُخذ أسيراً، وكان عند الفرنج من الباعث الديني والنفساني ما هذا حده فخرجوا على الصعب والذلول برًّا وبحراً من كل فجٍّ عميق ـ فقد كان ادعاء اضطهاد النصارى وانتهاك حرمة الأماكن النصرانية المقدسة من طرف المسلمين ـ إذ ذاك ـ كان هذا الادعاء من أبرز الأسباب التي اتخذت وسيلة لإثارة العواطف والقيام بالحرب الصليبية خصوصاً لدى الطبقات الشعبية المسيحية بأوروبا ـ كان الكثير ممن شاركوا في الصليبيات تدفعهم عاطفة دينية جياشة ـ.

أما المسلمون فقد اقتصروا على أداء شعائر دينهم التعبدية وأسقطوا الإسلام اجتماعيًا وتحولوا من قيمه إلى قيم كقيم الجاهلية، قال أبو شامة ـ المؤرخ الشهير ـ:

«كانوا كالجاهلية هَمُّهُ بطنه وفرجه، لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً».

وقال ابن كثير: قام الشيخ أبو إسحاق الشيرازي مع الحنابلة في الإنكار على المفسدين، والذين يبيعون الخمور، وفي إبطال المؤاجرات وهن البغايا... كانت الأمة تعيش انهيارات اجتماعية، وفساداً اقتصادياً واضطراباً فكرياً، وافتقرت إلى القيادة العلمية والعملية فترنَّحت بين الشهوات والشبهات وتهيأت بالذل والصغار للسقوط تحت أقدام أعدائها... وقد كان البابا «أوربان الثاني» يعلن في خطبته بمجمع «كلارمون» في نوفمبر (١٠٩٥ م ـ ٤٨٨ هـ) «ليست (هذه الحرب) لاكتساب مدينة واحدة فقط بل هي أقاليم آسيا بجملتها مع غناها وخزائنها التي لا تُحصى، فاتَّخِذوا محجة القبر المقدس وخلصوا الأراضي المقدسة من أيدي المختلسين وأنتم املكوها لذواتكم، فهذه الأرض كما قالت التوراة تفيض لبناً وعسلاً».

وبطرس الناسك يجول في بلاد فرنسا وبعض ممالك أوروبا راكباً على بغل قابضاً بيديه على الصليب، منادياً بحرب الصليب في الطرقات والأزقة والكنائس والأديرة منادياً بأن مسيحيي الشرق يقاسون العذاب ألواناً تحت حكم المسلمين، مزكياً أقواله بوصفه جبل صهيون

ومكان الجلجلة وبستان الزيتون، وقد كان أحياناً يستصحب بعض مسيحيي الشرق الذين كان يقابلهم ببلاد أوروبا، وكانت الناس تتقاطر إليه مزدحمين حوله مقبِّلين أرديته، فارشين الأعشاب في الأرض ليمر عليها، متخاطفين أجزاء وشاح بغله بمنزلة ذخائر لهم ملقِّبيهِ بقديس ونبي، باكين معه على شقاء أورشليم (بيت المقدس)، متعهدين بصرف موجوداتهم وخبراتهم وحياتهم لأجل إنقاذها من الأسر والهوان.

كل هذا والأفكار الباطنية والجهليات الصوفية والآراء الفلسفية تدمر داخليات العالم الإسلامي وتسحق قواعد الشريعة بشتى التأويلات في مجتمعات تعيش حالة من اللاوعي وكأنها خِراف تُقاد إلى مسالخها وتُنادي بحياة جزاريها، واتخذت الفلسفة الباطنية طابع التحدي للشريعة في اتجاهٍ أسَّسَهُ ابن سينا (٣٧٠ ـ ٤٢٨ هـ) يهدف في النهاية إلى إحياء المجوسية وكان العلماء والفقهاء في مستوى من الضحالة الفكرية لا تعينهم على التصدي ـ لذلك لم يستطيعوا الوقوف أمام تيار الفلسفة التي أحدثت موجة حادة من القلق العقائدي لدى المثقفين والاضطراب الاجتماعي لدى العامة ـ!!.

وفي الوقت الذي كانت المجتمعات الإسلامية تعاني الفساد والصعف في ميادين الحياة المختلفة،

ورؤساء العالم الإسلام على حالهم من التفكك والصراع، دخل الصليبيون فأطاحوا بمُلك سلاجقة آسيا الصغرى واستولوا على عاصمتهم نيقية. ثم انحدروا إلى بلاد الشام وهددوا الأخوين ـ رضوان في حلب، ودقَّاق بدمشق ـ تهديداً بالغاً حتى اضطرا الدخول في طاعة الصليبيين وأداء الجزية. وقد رضيا بهذا الهوان لإنقاذ الرعية ولرعاية حرمة الوطن الإسلامي وأخيراً استولوا على إنطاكية عام **٤٩١هـ** وسقط بيت المقدس في أيديهم عام **٤٩٢هـ / ١٠٩٨م**.

وفي كل مدينة أو قرية دخلوها اقترفوا المذابح الوحشية وأعملوا السيف في السكان، وخاضت خيولهم بدم الضحايا من الرجال والنساء والأطفال.



الثورة على الإسلام (٣)

قال ابن الأثير: في هذه السنة «أي سنة ست وثمانين وخمسمائة» خرج ملك الألمان من بلاده وهم نوع من الفرنج من أكثرهم عدداً وأشدهم بأساً، وكان قد أزعجه ملك الإسلام البيت المقدس.

نعم ففتْح بيت المقدس كان بمثابة الواقعة على ملوك النصارى في الغرب ومن كان يظن ذلك ممكناً، وصوت الأمة حبيس بين جدران خوفها لا تستطيع معه همساً، ومن المضحكات المبكيات أن وُلاة الأمر قبل صلاح الدين كانوا يراقبون العلماء لإسكات الأصوات التي تنادي بالجهاد وفي الوقت الذي تأسست فيه أربع دول صليبية أهمها دولة بيت المقدس لم يستطع إمام كبير كأبي بكر الطرطوشي وهو بمصر، أكثر من أن يؤلف رسالة في تحريم جبن الروم لا لأنه جبن ولكن لأن مصدره النصارى، وخطرهم قابع في أربع مدن إسلامية كبرى، وفي الحين ذاته محدِق بكل مسلمي

المشرق بعد أن أحدق بمسلمي الأندلس بسقوط طليطلة في ٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥ م ثم جزيرة صقلية في ٤٨٤ هـ/ ١٠٩١ م لكن الأفضل وزير العبيديين لم يتركه ـ أخرجه إلى الفسطاط قرب القاهرة وحجَّر عليه استقبال طَلَبَتِهِ وأسكنه في مسجد قرب الرَّصد وهو مسكن سرعان ما بغضه الشيخ فكان يقول لخادمه ساخطاً: «إلى متى نصبر؟».

وهو نفسه ـ رحمه الله ـ يرى الأمة ويشهد عليها في تلاعبها بدينها ويقول في كتابه «الحوادث» بعد كلام له في البدع وخروج النساء متبرجات ـ قال: وأعظم من ذلك ما يوجد اليوم في هذه الخُتُم من اختلاط النساء بالرجال وازدحامهم وتلاصق بعضهم ببعض حتى بلغني أن رجلاً ضم امرأة من خلفها فغشيها في مزدحم الناس.

وجاءت إلينا امرأة تشكو فقالت: «حضرت عند الواعظ في المسجد الجامع فاحتضنني رجل من خلفي والتزمني في مزدحم الناس فما حال بينه وبين ذلك إلا الثياب».

وقال: فيختلط الرجال والنساء والصبيان والغوغاء وتكثر الزَّعقات والصياح وتختلط الأمة ويذهب بهاء الإسلام ووقار الإيمان.

لقد كانت الأمة تصارخ بعبادتها لكنها لا تفقه الحد الأدنى من حقيقتها، ولكنه نوع من الهروب بخداع النفس، والصليبيون يدركون بمكرهم هذا وتصرخ أشعارهم:

الإفرنج يجوسون المدينة. شاهري السيوف.

لا يشفقون على أحد، حتى على الذين يتوسلون الرحمة.

سقط شعب الكفار تحت ضرباتهم مثلما.

تسقط جَوزات البلوط المهترئة من شجرة البلوط.

حين يهزون أغصانها.

ـ ومُدَوِّنو الأخبار ومؤرخو الأحداث سنة بعد سنة من الغربيين يصفون هذا الحدث بقدر متفاوت من الإسهاب والتفصيل، ويتحدثون بتفاصيل طبيعية عن أعمال «جنود الرب» التي تبدو لهم جديرة بالمدح والثناء.

ـ والمسألة بديهية فالجسد الضعيف المنعدم المناعة والموزع الطاقات هو الذي يصاب بالمرض العضال عندما يتعرض لمؤثراته، والجسد القوي هو الذي يتصدى للمرض ويقاومه حتى إذا ما أصيب بالعدوى فإنها تكون عارضة تزول بسرعة...

من هذا المنطلق نستطيع أن نفهم سبب النجاحات الباهرة التي حققها الصليبيون عندما وصلت جموعهم سنة ١٠٩٨ م إلى مشارف بلاد الشام، فدخلت هذه الجموع البلاد واحتلت أجزاء كبيرة منها دون مقاومة تُذكر...

إنها قد فعلت ذلك لا لأن هذه الجموع تميز أفرادها بمميزات خاصة خارقة للعادة ـ كما أراد جيل أوروبي سابق من الباحثين أن يقول ـ ولكن لأن الخصم العربي الذي واجهته كان من الضعف والتمزق بمكان سهَّل مهمة الغزاة ويسَّرها.

ولما جاء «صلاح الدين» وعاد بالأمة توحيداً ووحدة وشرعة ومنهاجاً وفتح الله على يديه المُباركتين «بيت المقدس» لم يصدق الناس!... وقال الشاعر:

أترى مناماً ما بعيني أنظر
القدس تُفتح والنصارى تُكسر

نعم كان وكانت الأمة وكان... أن غرق ملك الألمان في نهر قريب إنطاكية نزل ليستحم فيه وكفى الله شره، وتشتت جمعه.



اعترافات إرهابي

دعا البابا أربان الثاني الرجال من أبناء أوروبا الصليبية لحمل الصليب، وتحرير قبر المسيح ـ كما يزعمون ـ والقدس من قبضة المسلمين.

وكان ممن استجاب لهذه الدعوة ـ: فوشيه دي شارتر، فمن يكون هذا الشارتر؟

إنه القس الخاص لبلدوين الأول حاكم الرُّها من عام ١٠٩٨ إلى عام ١١٠٠ وأول ملك صليبي لبيت المقدس من عام ١١٠٠ إلى عام ١١١٨. عاش شارتر بالقدس منذ نهاية ١١٠٠ حتى ١١٢٧ م.

أما اعترافات الإرهابي ـ فوشيه دي شارتر ـ فهي مدوَّنة في كتابه «تاريخ الحملة إلى بيت المقدس» أو «أعمال الفرنجة حجاج بيت المقدس»، وترجع أهمية كتابه إلى أنه المؤلِّف الوحيد الذي كتبه مستوطن فرنجي محلي، يغطي كل الفترة التكوينية الأولى لأول حملة صليبية، وهو ـ قبل ذلك كله ـ شاهد عيان.

بدأ فوشيه الرحلة الصليبية في أكتوبر سنة ١٠٩٦م، ضمن جيش يقوده الدوق روبرت أمير نورماندي، والكونت روبرت أمير الفلاندرز، والكونت ستيفن أمير بلوا، عابراً معهم الأراضي الإيطالية، وفي الرُّها التقى بلدوين الأول، وصار قسًّا له، وصاحَبه في رحلته إلى بيت المقدس عبر إنطاكية واللاذقية وضواحي المدن العربية في جبلة مرقلية، وطرطوس، وعرقة وطرابلس، وبيروت، وصُور وحيفا، وعبر قيصرية وأرسوف ويافا إلى بيت المقدس ليستقر هناك، ويراقب الأحداث ويشارك في كثير منها.

ولماذا كتب هذا الشارتر؟

أجاب: «يجب أن أُحوِّل قلمي إلى تاريخ لكي أحكي بوضوح لمن لا يعلمون قصة الرحلة التي قام بها أولئك الذين ذهبوا إلى بيت المقدس، وما الذي حدث لهم، وكيف أن العمل الذي اضطلعوا به انتهى تدريجيًّا إلى نهاية ناجحة بمساعدة الرب».

وقال: من دواعي غبطة الأحياء، بل من المفيد للموتى، أن تُتلى أعمال الرجال الشجعان؛ لا سيما أولئك الذين يتحاربون في سبيل الرب.

وقال: أحكي في أسلوب منظم دقيق أعمال الفرنج الباهرة التي فعلوها عندما قاموا برحلة (حج

مسلح) إلى بيت المقدس (بأمر إلهي) في سبيل المسيح المخلِّص.

فما هي أعمال الفرنج الباهرة ـ الرجال الشجعان ـ؟

قال: إن الرعب يتملكني وأنا أقول إن كثيرين من رجالنا الذين عذبهم الجوع الضاري بجنونه، كانوا يأكلون جثث المسلمين الذين كانوا يرقدون هناك بعد قتلهم.

وكانوا يطبخون القطع التي انتزعوها من هذه الجثث ويأكلونها، ويلتهمون اللحم الآدمي بوحشية، على الرغم من أنه لم ينضج في الشواء.

وماذا فعلتم في القدس؟

قال: كثيرون من المسلمين الذين كانوا قد تسلقوا معبد سليمان هاربين، أصابتهم السهام في مقتل فسقطوا من فوق السقف. وتم ذبح حوالي عشرة آلاف في المعبد. ولو أنك كنت موجوداً هناك لغاصت قدماك حتى العقبين في دماء المذبوحين، ترى ماذا أقول؟ إننا لم نترك أحداً منهم على قيد الحياة، ولم ينج حتى النساء والأطفال.

والنساء ماذا فعلتم بالنساء؟

كم سيكون المنظر مدهشاً لو أنك رأيت فُرساننا ومُشاتنا، بعد أن اكتشفوا خداع المسلمين؛ فشقوا بطون الذين ذبحوهم لكي يستخرجوا من المعدة والأمعاء العملات الذهبية التي كان المسلمون قد ابتلعوها وهم أحياء. ولنفس السبب قام رجالنا بعد أيام قليلة بجمع كومة من الجثث وأحرقوها حتى صارت رماداً بحيث يمكنهم أن يجدوا الذهب الذي ذكرنا خبره بسهولة.

وماذا بعد ذلك؟

لقد كان وقتاً يبقى في الذاكرة حقًّا لأنه في هذا المكان تجددت ذكريات أعمال المسيح وتعاليمه.

وهذا العمل؟!!

هذا العمل الذي اختار الرب إنجازه من خلال شعبه، من خلال أبنائه المحبوبين وأسرته الذين اختارهم كما أعتقد لهذه المهمة.

هذا العمل سيدوي ويستمر خالد الذكر على ألسنة جميع الأمم حتى نهاية الزمان.



أبيدوا خُمس المسلمين

منذ عشرات السنين كتب المسيو كيمون كتابه «باثولوجيا الإسلام» وطالب فيه بإبادة خُمس المسلمين بل رأى ذلك واجباً «وأن الواجب إبادة خمسهم» ولا أدري هل استطاعت البربرية الغربية إبادة الخُمس أم أن الخمس لما يكمل بعد، والظاهر أنه لن يكمل، فالمذابح على قدم وساق، والساقي لم يسكر بعد من دماء المسلمين لأنها دماء طاهرة، والنجاسة لا تليق إلا بأهلها، وأظن أن هذا هو الذنب الأولى بالرعاية.

لقد أوشك قرنهم على نهايته، وأحلام ذلك الإرهابي لا تزال ترددها مواخير إعلامهم «على الباقين بالأشغال الشاقة» هذا حكم البقية «أشغال شاقة» باستلاب الأموال ونهب الثروات وتسليط الفضائيات لغسل الأدمغة بالمسحوق الأكثر بياضاً حتى لا يبقى فيها إلا «الأبيض».

وعندها لا بد من تكملة «الحلم الشيطاني»، إذ

يقول الخبيث: «وتدمير الكعبة» مرة واحدة وكأن أبرهة الغرب لم يتعظ بأبرهة الحبشة، إن كلمة عبدالمطلب تدوي في تاريخ الكعبة وستخرق آذان كل «علج أبيض» فللبيت رب يحميه...

لا همَّ إن المرء يمـ ـنع رحله فامنع حِلالك
لا يغلبن صليبهم ومِحالُهم أبداً مِحالك

وسيسقط أبو رغال، وكل أبي رغال تحت الأقدام وسيُرجم بالأحجار كل ضِراري الثقافة تغريبي الديانة، وستبقى «الكعبة»[1] إلى أن يشاء الله أمره، لا بأمر هؤلاء أو حَوْلهم، ولا حَوْلَ لهم، أو قُوَّتهم و«القوة لله جميعاً»، واقترح الخبيث اقتراحاً ثالثاً وياله من مأفون حقير، قال الحقير: ووضْعُ ضريح «محمد» في متحف «اللوفر».

بأبي هو وأمي ﷺ... هذه مطامعهم وهذه نياتهم وهذه أعمالهم، والبقية تأتي من رؤوس هؤلاء الإرهابيين الذين لا يعرفون إلا أنفسهم ولا يخدمون إلا مصالحهم، ولا يخلصون إلا لغاياتهم، ولذا بكل بساطة

---

(١) صرح أحدهم أخيراً بأنه يجب ضرب مكة المكرمة بالنووي!!!.

يقول هذا الحقير بعد هذا كله: «وهو حل بسيط وفيه مصلحة الجنس البشري» وكل ساذج يدرك معنى ما يريد بالجنس البشري أي الأبيض، لأن الأبيض والأبيض فقط هو الإنسان وغيره من بني جنسه ليس من فصيلته وأقصى ما يطمح إليه هو شرف خدمته، ولا زلنا نلعب معهم أو قل يغازلونا بتقارب الأديان وحوار الحضارات، ولا عزاء للمغفلين، فرأيهم فينا واضح صريح كما يقول كيمون: «إن الديانة المحمدية جُذام فشا بين الناس، وأخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً، بل هي مرض مروع وشلل عام، وجنون ذهولي يبعث الإنسان على الخمول والكسل، ولا يوقظه منهما إلا ليسفك الدماء، ويدمن معاقرة الخمور ويجمح في القبائح».

هذه عقليات مثقفيهم وعقائد سياسيِّيهم في كل من انتسب إلى الإسلام «جذام، مرض مروع، شلل عالم، جنون ذهولي، سفك دماء، معاقرة خمور، جموح في القبائح».

أينا أولى بكل هذه الشتائم والبذاءات ومن الذي سفك ويسفك الدماء؟ ومن الذي يعاقر الخمور ويجمح في قبائح المونيكا؟ أليست القبة اللا بيضاء؟!!.

ويتمادى القبيح في هذيانه فيقول: «وما قبر «محمد» في «مكة» إلا عمود كهربائي يبث الجنون في

رؤوس المسلمين، ويلجئهم إلى الإتيان بمظاهر الصرع «الهستيريا» العام والذهول العقلي، وتكرار لفظة «الله» إلى ما لا نهاية، وتعود عادات تنقلب إلى طباع أصلية، ككراهية لحم الخنزير، والنبيذ والموسيقى، والجنون الروحاني، والليمانيا، والماليخوليا، وترتيب ما يُستنبط من أفكار القسوة، والفجور في اللذات».

وأنا أعرف طبيعة هذه اللذات التي قادوا الأمة إليها، وأسألوا التاريخ عن داعرات فرنسا في الحملة الفرنسية وعن الأزبكية، اسألوا الجبرتي عن المعلم يعقوب وعن الحمارة والخمارة، اسألوا... اسألوا... مرة واحدة أرجوكم لله...



روسيا الحضارية

استغلت روسيا الخصومات، والتنابذ بين صغار الحكام، والقبائل في داغستان، وبالتدريج، وباستخدام وسائل بسيطة، وقليل جداً من القتال، تمكنت من ترسيخ أقدامها في الجزء الأكبر من تلك البلاد. وكانت المدفعية شيئاً جديداً بالنسبة لأهل الجبال، ولذلك كانت طلقة، أو طلقتان من القنابل العنقودية، كافية لتشتيت شمل أضخم جموعهم، واقتنع صغار الحكام في مختلف الخانيات والطوائف الحرة، أن يقسموا يمين الولاء لروسيا... هذه هي القصة كما أوردها Baddeley في كتابه الذي طبع باللغة الإنجليزية منذ مائة عام تقريباً سنة ١٩٠٨ م ونُشر بالعربية سنة ١٩٨٧ م بعنوان «احتلال الروس للقفقاس» لكن هل تصدق بساطة القصة الضخمة هكذا، خاصة إذا عرفت أنها كانت سنة ١٧٩٦ م مع اعتراف باديللي: تمت ممارسة قدر كبير من القسوة، والوحشية، والغدر، ثم يعتذر

عن روسيا بقوله: يجدر بنا أن نتذكر أن روسيا في ذلك الوقت كانت نصف متمدنة، وما معنى قوله «نصف متمدنة» هل كانت نصف «همجية» مثلاً؟ وإلا فما معنى قدر كبير من «القسوة، والوحشية، والغدر» هل كل ذلك وللأسف إذا قلنا «فقط» يعني نصف المدنية؟!!.

وأن تمارس هذه «الهمجية» في حقبة من الزمن تناهز الستين عاماً متواصلة ضد سكان الجبال الذين وصفهم بقوله: «كان كل رجل خيَّالاً بالفطرة، كما كان ماهراً في استخدام السيف والرماية بالأسلحة النارية، وكانت أسلحته (بندقية وسيفه أو خنجره) هي أعز ما يملك، يورثها الآباء للأبناء جيلاً بعد جيل، وبعد أسلحته تأتي فرسه. ولا يملك تصوير الشعور العميق المتأصل عند الشيشاني بكلمات أفضل من كلمات موذرول الشاعر الإنجليزي التي يقول فيها:

حصان، حصان لا يبارى في سرعته
وسيف من المعدن الحادّ
ولا قيمة لما عدا ذلك، عند القلوب العظيمة
وكل شيء غيرها في هذا العالم تافه

لقد أدرك بطرس الأكبر في حملته سنة ١٧٢٢

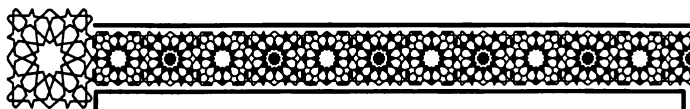
معنى الكارثة في أول مرة يحتك فيها الروس بهذه القبيلة، كما قال باديللي: وكانت هذه النتيجة نذير شؤم لما كان سيحدث في مناسبات لا حصر لها، خلال ال (١٣٠) عاماً التالية. وسنرى أنه في تاريخ احتلال القفقاس، أن قتال الغابات ضد الشيشان لعب دوراً لا يفوقه في الأهمية إلا دور حرب الجبال ضد قبائل الداغستان، بل إنها كلفت روسيا ثمناً أغلى من الدم، والمال، وأدت إلى كوارث أوسع نطاقاً وأكثر دموية.

كل ذلك يحتاج إلى متابعة بحثية تثبت إرهابية روسيا على مدار تاريخها الإرهابي في القفقاس لتثبت أن الجلاد لن يكون حضارياً ولا نصف حضاري، سيبقى دائماً وأبداً «همجياً كاملاً».

وستبقى الحقيقة رغم آهات الدماء، وصرخات الأشلاء تثبت نفسها دائماً.

أليس كذلك أيها المؤرخ في اعترافك الحضاري «إن الروس يجعلون من التعصب الديني السبب الأول في هذه الانتفاضة وما شابهها، غير أنه كان عاملاً ثانوياً في الواقع. لقد كان سبب الثورة الرئيسي، هو الدور الذي قام به الغزاة، الظالمون البغاة، والمحتلون ـ أو رسل الحضارة إذا استخدمنا التعبير المهذب.

فهنيئاً لكم أيها الحضاريون!!!.



روبل واحد

تخيل أنك في عصور ماضية، وأنت الآن في أسواق الجواري والعبيد، والسمسار يصرخ: من يزيد؟، ماذا كنت فاعلاً؟ هل كنت تكتفي بالمشاهدة ثم تعود من حيث أتيت حاصداً الهواء في رئتيك لا تستطيع إخراجه ولو بزفير الحسرات على ما فات؟

ربما تكون البائع، ربما تكون المشتري، وكذلك ربما تكون البضاعة... وراء كل عبدٍ قصة حينما سُلِبَ حُريَّته... وراء كل جارية قصة عندما انتزعت وغدت سلعة...

وفي قصص العبيد على مدار التاريخ مآسٍ تفاخر المآسي الأمريكية في التصفية العرقية للهنود الحمر، وقد تفوق ما ادعاه سادة الأرض في الغرب في القرون الوسطى حتى لكأني من تزاحم المعلومات في رأسي هممت أن أجمع كتاباً في «تاريخ العبيد» وما صرفني

عنه إلا ما أشاهده من الرق العصري الحضاري، فبينما أنا أسير في شوارع «ميونيخ» استوقفني رجل ضخم الجثة آثار البلاهة واضحة في حركته وكلامه طالباً المساعدة فمنعني مرافقي وقال يا شيخ لا تفعل فسألت لماذا؟ فأجاب: هذا بوسني كغيره من الذين يعيشون آثار سماسرة رقيق الغرب، وسيشرب بما تعطيه الخمر حتى ينسى ما هو فيه وما يعيشه. لقد سرقوا «الفتيات» وباعوهن لشركات الرقيق الأبيض ليمارسْنَ الدعارة «اغتصاباً» وكذلك بعض الأولاد لإرضاء أذواق الرجل الأبيض، أما الأطفال فالمأساة فيهم أكبر، وأبطالها قساوسة الكنائس، والسعر محدد «لجوء سياسي» لتفريغ الأرض من سكانها.

تعددت الأسباب، والغرب واحدٌ، وضعت يدي على رأسي وأنا أتذكر ما قرأته في بعض الصحف عن انتحار عدد من الفتيات البوسنيات في نوادي الدعارة لإنهن يجبرن على ممارسة الرذيلة، والمسلسل لا يزال يعرض ولكن تنتقل أحداثه من البوسنة إلى كوسوفو إلى الشيشان وهنا أفقت على المجازر القديمة والبحار الدموية التي أجراها الروس منذ سنة ١٧٢٢م وتزاحمت الأحداث وتمنيت لو جمعت كتاباً في تاريخ هؤلاء الجزارين لأن إعلام

النفاق قد جعلهم حضاريين، وعدت أتذكر قائداً روسياً كان يفتخر بأنه من سلالة «جنكيز خان» وإن كان ذلك لا يصح نسباً لكنه بلا شك يصح فعلاً، غير أن جنكيز خان وهولاكو وتيمورلنك أكثر إنسانية من هذا الدعيّ الزنيم الذي يفتخر به الروس في تاريخهم المجيد ـ وكان ناجحاً كعادته في ميدان القتال (فعاقب) الشيشان الثائرين، وأحرق قُراهم، ودمر غاباتهم ـ متى كان هذا؟ هل تصدق في سنة ١٨٢٦م، لكنه هل كان يكتفي بذلك؟.

في وثائق الحرب الروسية تنوعت أساليبه القذرة، منها القبض على كثير من النساء، واغتصاب الجميلات، وبيع البقية بسعر روبل واحد للمرأة الواحدة.

ونحن الآن في زمن حضارة «الدولار» الأمريكي، وجاء أخيراً «اليورو» الأوروبي وقديماً قال مالك بن نبي منذ نصف قرن: ومع مرور الوقت ترك الغرب لك قداسة الأشياء، ومن ثم كل القيم المقدسة، ولم يبق في ذهن الإنسان الغربي مفهوم التكريم الذي وضعه الله عز وجل في الإنسان، فأفقدت الحضارة الإنسان إنسانيته، فأصبح إما وحشاً مفترساً ينقض على كل ما يستطيع امتلاكه، أو يصبح حيواناً تائهاً في المتاهات.

عموماً يا عزيزي هل أدركت أننا الآن في غاية من عولمة «الحيوان» فهنيئاً للخراف، وهنيئاً للذئاب، ولا عزاء للمغفلين!!!.



الموريسكيون
البداية والنهاية

هنري تشارلس لي (Henry charles lea) هو مؤلف كتاب: «محاكم التفتيش في إسبانيا» «A History of the Inquisition in Spain»، والكتاب في أربعة مجلدات، في الثالث منها فصل بعنوان: تنصير العرب والمسلمين (الموريسكو) وطردهم، ترجمه إلى العربية الأستاذ حسن سعيد الكرمي. بعنوان: «العرب والمسلمون في الأندلس بعد سقوط غرناطة»، ونشرته دار لبنان للطباعة والنشر، ولكم كنت أتمنى أن يترجم الأستاذ حسن الكرمي الكتاب كله أو حتى الكتاب الآخر وهو الأكثر تفصيلاً في هذا الموضوع الذي تصغر أمام استيعاب دلالاته قواميس العقول، ولكن لا بأس بشيء من المراجعة لحوادث تلك المصيبة، فمن هؤلاء (الموريسكيون) أو (المتأخرون)؟ هي كلمة تطلق كما يقول المترجم على العرب والمسلمين الذين بقوا في إسبانيا تحت الحكم

المسيحي ولم ينزحوا عن البلد عند احتلاله من الإسبان، ويقابلها عند الإسبان كلمة (Modijares) أو (Mudijares) أو كلمة (Moriscos). والكلمة كما لا يخفى، مُشتقة من الفعل (تأخر)، فالمتأخرون هم الذين تخلفوا ولم يلحقوا بإخوانهم النازحين.

وقال بعضهم إن الكلمة (Mudejares) من كلمة (مدجنين) أو (مُدَجلين)، إلا أن ذلك من قبيل الظن. فكيف كان حال هؤلاء (المدجنون) أو (المدجلون) أو (المتأخرون)؟.

الذين دجنوا ثم ذبحوا... المقام لا يتسع والمقال لا يسمح ولكن للضرورة أحكام...

قال «هنري» ولم أقل: كان الإسبان في أول العهد من الفتح يسمحون لهؤلاء بالبقاء، وكانوا يعطونهم العهود والمواثيق على أن يحترموا دينهم وعبادتهم وعاداتهم وألا يمنعوهم من التمسك بها وأدائها وممارستها، وقد عُرف هؤلاء العرب والمسلمون الذين تخلفوا في ديار غير دار الإسلام باسم (المتأخرين) وكانوا يُؤلفون جزءاً كبيراً من السكان، وعادوا على البلاد بعد بقائهم فيها بأكبر المنافع بفضل اجتهادهم وكدهم وحذقهم لكثير من الصنائع والحِرف. وكان الفاتحون الإسبان يستعينون بهم ليس في العمل اليدوي

فحسب بل في أمور تتعلق بالعلوم التطبيقية العالية أيضاً، مثل الهندسة وأعمال التحصين، كما يدل على ذلك قصة الملك «شارل» الرديء، ملك «نافار»، فإن هذا أعفى (المتأخرين) من سكان تطيلة سنة ١٣٦٨ من نصف الضرائب المقررة عليهم لمدة ثلاث سنوات مكافأة لهم على مساعدتهم إياه في أعمال التحصين والهندسة في حروبه. وقد استمر هؤلاء المتأخرون عموماً على ولائهم وإخلاصهم للسلطة الحاكمة، ودأبوا على محافظتهم على الذمام والعهد في السلم والحرب خلال العصور الطويلة التي انقضت في الصراع الداخلي بين زعماء المسيحيين وفي مناوأة هؤلاء الزعماء لإخوانهم في الدين من المناطق الأخرى ونضالهم ضدهم.

هكذا كانت البداية ثم جاءت محاكم التفتيش التي من الظلم البين للإنسان أن تبقى حاملة ذلك اللقب المخادع، ومن المؤكد أنها كانت مخازن للتعذيب والتنصير والترهيب مما لا أريد أن يسجله قلمي وإن كان قلبي يتقطع حسرات وألماً.

لقد سجلوا ذلك بأقلامهم السوداء وقلوبهم الأشد سواداً لتبقى عصبيتهم وهمجيتهم شاهدةً عليهم أبد الدهر، لقد تباهى أنطونيو دي كويفارا بأنه عَمَّد عشرين ألف أسرة.

لكن كيف ذلك؟

كان بالجملة بِحَضْرِهِمْ في زرائب وحظائر، ورش الماء على رؤوسهم، هُدمت المنابر وأُحرقت المصاحف.

أجرت محكمة التفتيش في بلنسية سنة ١٥٣١ م ثمانياً وخمسين محاكمة بتهمة الضلال عن الدين وأحرقت سبعة وثلاثين شخصاً وجاءت الاقتراحات وأقلها لرئيس الأساقفة - قتل الرجال والنساء والأولاد من المسلمين والعرب بمئات الألوف تحريقاً بالنار. ثم مشروع لشبونة لسنة ١٥٨١ م لترحيل العرب والمسلمين بحراً وتغريقهم، وأخيراً تقدمت فكرة الطرد، واضطر عدد كبير من النساء إلى أن يتزوجن برجال مسيحيين حتى يعفين من الطرد.

وتَرَهَّبَ عدد من الأزواج والزوجات من أصحاب الجاه والبيوتات النبيلة من العرب والمسلمين للحصول على الإعفاء، وكان الأفراد يعرضون أنفسهم بأن يكونوا عبيداً أو خدماً لمن يُؤْوِيهم أو يقبلهم في بيته.

وهكذا فإنه بعد مُضي تسعمائة سنة على زوال الملك القوطي طهرت إسبانيا أرضها من (الغزاة) بعمل وصفهُ الكاردينال ريشيليو بأنه أصفق عمل وأكثره بربرية في تاريخ الإنسان.

أم عنقود الخنَّاقة

حدثني شيخنا الجليل الأستاذ الدكتور/ حسن عيسى عبدالظاهر أن الشيخ الداعية/ محمد الغزالي - رحمه الله - ذهب يوماً إلى مدينة المحلة الكبرى لإلقاء محاضرة فسمع منادياً ينادي «عَيِّل ضائع، تائه» ويستصرخ الناس بحثاً عن هذا الطفل المفقود، فضجَّ الشيخ وقال: هَلاً قال: أُمَّةٌ تائهة؟!. أخذتني الكلمة بعويلها وسياطها فلم أنم ليلتي وبتُّ أتقلب في فراشي قلقاً وحزناً.

فقلت: يا الله! كيف تاهت أمةُ الرسالة والشهادة على الناس؟ وتكاثرت الأسئلة ونازعتني الأجوبة، وعدت إلى أصل الحكاية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [يونس: ٤٤]. عدتُ أقرأُ السنن وأتصفحُ التاريخ لتسابق العَبرةُ العِبرةَ.

والأمة تُخنق وتُحاصر، تُخنق في شتى المجالات وعلى جميع الجهات، ولكن الخنق الأشد والأعنف

«خنق الدين» فعدت أذكر بغداد، وما أدراك ما بغداد؟

أذكرها وهولاكو يحاصرها ويكاد يخنقها، والناس من حوله يُخنقون في حادثة أم عنقود، ولعلها عناقيد ولكن أين الغضب؟!!

قال ابن الفوطي في حوادث سنة ست وأربعين وستمائة (أي قُبيل اقتراب هولاكو من بغداد):

وفيها حدث بأكثر أهل بغداد أمراض في حلوقهم وخوانيق، ومات بذلك خلق كثير، وذكرت امرأة: أنها رأت في المنام امرأة من الجن تكنى «أم عنقود» قالت لها «إن ابني مات في هذا البئر» وأشارت إلى بئرٍ داخل سوق السلطان، «ولم يُعزِّني فيه أحد، فلهذا أخنقكم» فشاع ذلك في الناس، فقصَدَ البئر المذكورة جماعة من العوام والنساء والصبيان ونصبوا عند البئر خيمة، وأقاموا هناك العزاء، وكان النساء ينحن يقلن:

أي أم عنقود اعذرينا   مات عنقود وما درينا
لما درينا كلنا قد جينا   لا تحردين منا فتخنقينا

وما يناسب ذلك من الهذيان، وأكثرن من هذا وأمثاله، وألقى الناس فيها الثياب والحُلي والدراهم والخبز واللحم المطبوخ والدجاج وأنواع الحلواء، وأشعلوا عندها الشموع، فلما أكثروا من ذلك عابه

العقلاء والأكابر وأنكروه، فأمر الخليفة بمنع الناس من ذلك، فحضرَ الشحنة إلى هناك وقال «إن الديوان قد أقام أم عنقود من العزاء» وأمر بسد البئر، وتفرق الناس عنها.

فهل للمسلمين اليوم ديوان يقيم عزاء أم عنقود التي تخنق أطفال العراق منذ سنين عجاف؟! ألقينا في بئرها كل ما لدينا ولم يبق أمامنا ولا خلفنا شيء، ألقينا الماضي والحاضر والمستقبل، ألقينا تاريخنا وحضارتنا ومجدنا، ألقينا ثرواتنا وأطفالنا ومستقبل ذرارينا، ألقينا، وألقينا وألقينا!!!

لكن ما لأم عنقود لا ترضى وماذا تريد منا حتى ترضى؟

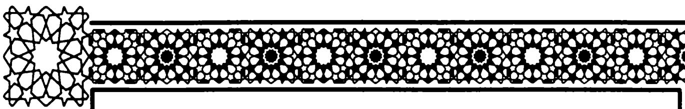
نصبنا الخيام، وأقمنا العزاء، وناحت النساء، لكن أم عنقود لم ترض... ولن ترضى...

لم يَضِعْ مِنَّا طفل، ولكن مات مِنَّا مليون طفل وطفل، وأم عنقود ما تزال تخنق، ومُنادينا يصرخ ويصرخ وأظنه سيبقى يصرخ.

قال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ: «من تأمل أفعال الباري سبحانه، رآها على قانون العدل، وشاهد الجزاءَ مراصداً للمُجازى، ولو بعد حين».

ستذهب أم عنقود وستُلقى في مزبلة التاريخ، ولو بعد حين، وستبقى أمة الشهادة وسيأتي اليوم قريباً قريباً ﴿ذَٰلِكَ ۛ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ﴾ [محمد: ٤].





الفصل الثاني:
شرق وغرب

- هل تنسى أوروبا.
- دراسة لابيدوس.
- الحرافيش في المشرق.
- حرافيش غرناطة.
- عاشت فرنسا.
- بغداد.
- كان يا ما كان.
- كوسوفا.

هل تنسى أوروبا؟

بهرني جمال اللوحة. . . وقفت أمامها. . . تأملت حروفها وأخذتني رعشة، لعلها كانت لخفقات القلب التي تسارعت، وعندها تساقطت دمعاتي وكأنها اللحظة التي اختصرها التاريخ، أغمضت عينيَّ، ثم مسحت دموعي وسارعت الخُطا، ودخلت السوق، إنه أسفل ذاك البناء الشامخ الذي أمُرُّ به في غُدُوِّي ورواحي «مسجد السلطان با يزيد»، قلبت بعض الكتب وتأملت اللوحات، هنا عبق التاريخ لخلافة الإسلام الأخيرة، تلاحقت ذكرياتي، تذكرت جدتي لأمي «فاطمة خاتون» فانتشيت لحظة ثم أفقت على الواقع، الصرب ماذا فعلوا؟ وماذا يفعلون؟ تسارعت الخطوات وعدت أدراجي وأنا كالنائم في صورة اليقظان، وفجأة تقافزت أمامي، يا الله ما أجمل هذه الصورة، سبحانك ربي. . . إنها جميلة، وهكذا لا بد أن تكون الطفولة. . . تأملتها فإذا عيونها تصرخ في وجهي: اغرب عني، فرأيت صور

الأطفال كل الأطفال على مذابح الصرب في عيونها الدامعة (ميلوك كوبلوفتش) أيها الخائن هل عدت من جديد؟ بعد تمام النصر والغلبة للعثمانيين كان السلطان «مراد» يمر من بين القتلى إذ قام وطعن السلطان بخنجر طعنة كانت هي القاضية عليه بعد قليل، فسقط القاتل قتيلاً تحت سيوف الانكشارية، لكن لم يفدهم قتله شيئاً إذ أسلم السلطان الروح بعد ذلك بقليل بعد أن ضم كثيراً من البلاد إلى ما تركه والده السلطان «أورخان»، مات عن خمس وستين سنة في أرض المعركة، وبيد ذاك الصربي المنهزم في سهل (قوص أوه) سنة **١٣٨٩** م بعد أن تناثرت الرؤوس وزهقت النفوس، وفرَّ (فوك برانكوفتش) صهر ملك الصرب (لازار) ومعه عشرة آلاف فارس والتحق بجيش المسلمين فدارت الدائرة على الصرب وجُرح (لازار) ووقع أسيراً، فهل تنسى أوروبا هذا وقد أوشكت على سقوطها؟!!.

وجاء السلطان با يزيد الأول، وبدأ أعماله بتولية (اسطفن) بن لازار ملك الصرب حاكماً عليها وأجازه بأن يحكم بلاده على حسب قوانينهم بشرط دفع الجزية، ولم يضم بلاد الصرب إلى أملاكه، وبعدها بقليل صارت بلاد البلغار ولاية عثمانية وخاف (سجسمون) ملك المجر على نفسه فاستنجد (أوروبا)

وساعده البابا الذي أعلن الحرب الدينية فأجاب دعوته دوق (بورغونيا) وأرسل ابنه الكونت (دي نيفر) بستة آلاف محارب أغلبهم من أشراف فرنسا وفيهم كثير من أقارب الملك، وانضم إليهم أمراء (بافاريا) واستيريا، ورهبان القديس حنا الأورشليمي وكثير من الألمانيين واجتاز الجيش نهر الدانوب وسار إليهم السلطان (با يزيد) ومعه مائتا ألف مقاتل، وفي يوم **٢٣** ذي القعدة سنة **٧٩٨** (**٢٧** سبتمبر سنة **١٣٩٦** التقى الجيشان وانتصر السلطان، وأسر الكثير من أشراف فرنسا منهم الكونت دي نيفر نفسه الذي أقسم يميناً حتى أطلق السلطان سراحه ألا يعود لمحاربته.

لكن... قال السلطان: «إني أجيز لك ألا تحفظ هذا اليمين فأنت في حل من الرجوع لمحاربتي إذ لا شيء أحب إليَّ من محاربة جميع مسيحيي أوروبا والانتصار عليهم».

كل ذلك تذكرته وأنا في مكتبة ملك (بافاريا) أبحث عن المخطوطات[١] ورفعت عيني أنظر في سقف المكتبة... فهل تنسى أوروبا؟!!.



(١) وقد صوَّرتُ بعضها.

دراسة لابدوس

طرح «إيرا لابدوس» في كتابه «مدن إسلامية في عصر المماليك» سؤالاً هاماً نستطيع من خلاله أن نعرف القانون الاجتماعي الذي استطاع أن يجعل من المجتمع الإسلامي في العصر المملوكي وحدة واحدة. ولن ننتقد المجتمعات الأخرى بل سننظر بشيء من الإنصاف إلى شهادة رجل لا يمتُّ إلى الإسلام بصلة بل هو باحث تاريخي مَهما تجرد للبحث العلمي فإنه لن يستطيع أن ينخلع من قيمه وموروثاته المخالفة، وكمدخل للإجابة لا بد من معرفة السؤال أولاً.

قال: كيف يمكن للمدينة الكبرى، المؤلفة من جماعات صغيرة، أن تنجز تماسكاً كافياً لتصون ذاتها ككيان وتشبع حاجات الكل؟ ما الاستعدادات التي يمكن أن تهيأ للنظام العام، والانضباط، والدفاع، والتربية، والتجارة، والأشغال العامة والأعمال

الخيرية[1]، والخير العام، على مدىً يتخطى حدود أي من الأحياء الأصغر ويتعدى الإمكانات التنظيمية... إلى أن قال: فلم يكن هناك بلديات، ولا كوميونات، أو بيروقراطيات حكومية لتعنى بالشؤون المدينية، بل كان تماسك المدينة يعتمد ليس على أية مؤسسة معينة بل على أنماط من النشاط الاجتماعي والتنظيم الاجتماعي اللذين أديا إلى خلق مجتمع أوسع قاعدة.

هذه الإشكالية الاجتماعية الكبرى كيف تجاوزها المجتمع الإسلامي في العصر المملوكي؟ وكيف استطاع لابدوس فهمها والإجابة عليها؟

أولاً: لا بد أن نقرر أن كتابه دراسة للعمليات السياسية والاجتماعية التي جرت في المدن المصرية والسورية في الحقبة المملوكية الواقعة بين العامين ١٢٥٠ و١٥١٧ م.

ثانياً: مصادر هذه الدراسة متعددة، تشمل التواريخ التي تعنى بعرض الأحداث زمنياً، والسِّيَر، والكتابات المنقوشة، ووصف المدن، وتقارير الرحالة،

(١) ومن أهمها الأوقاف الخيرية التي كاد ريعها يغطي مناحي الحياة، ومن أعظمها المدارس العلمية التي خرّجت النخبة.

والمراسلات الدبلوماسية، والمعاهدات، والأعمال الفنية الأثرية وغيرها. . .

هكذا قال لابدوس، والدارس لكتابه لا بد وأن يقول هنا مثل قوله، ولنعد لسؤاله الأول، ومن حقائق إجابة لابدوس بلفظه: كان هذا المجتمع مبنياً حول النخبة الدينية.

فكيف كانوا هم في دراسته؟

قال: كانت قواعد مجتمع العلماء جماعات دراسية مُشَكَّلة حول مشايخ ومدرسين متميزين.

وهل يعني ذلك أنهم كانوا طبقة متميزة منفصلة عن واقعها ومجتمعها؟

قال: العلماء لم يكونوا طبقة متميزة، بل فئة من الأشخاص متداخلين مع طبقات وأقسام اجتماعية أخرى، ويتخللون المجتمع برمته، لقد كانت اتصالاتهم متنوعة إلى درجة كبيرة مكنتهم من لعب دور حاسم في العمليات التي استطاعت بها الاتصالات الاجتماعية أن تستمر، وبالتالي، في العمل على دمج المجتمع في كل عامل موحد.

وما هي وسيلتهم في ذلك؟ دعنا أولاً نتعرف عليهم ثم نعرف وسيلتهم. . .

قال: كان العلماء يُكوِّنون ذلك الجزء من المجتمع الإسلامي المثقف في الآداب، والشريعة، والعقائد الإسلامية. لقد كانوا قُضاة، ورجال قانون، وأئمة، وفقهاء، ومدرسين، وحفظة القرآن الكريم، ورواة للأحاديث الشريفة، ومتصوفين، وخدم مساجد، وهكذا دواليك.

وكان واجبهم الأساسي أن يحافظوا على معرفة التعاليم السماوية، وبمد المجتمع بأسباب الحياة ليبقى مجتمعاً إسلامياً، ويقدموا له الإرشاد الديني والأخلاقي، لقد تابعوا تعاليم الإسلام، وعززوا قيمه الأخلاقية، وسموا بشرائعه، وأظهروا عقائده، وقمعوا الفساد والرذيلة. وبلغة الإسلام: كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

هكذا باختصار شديد أجاب لابدوس: هل تصدق؟



الحرافيش في المشرق

من هم؟ ومن كانوا؟ وحتى لا نتجنى على أحد ولكي نكون أقرب إلى الموضوعية فسنترك الكلام عنهم لتحديد هويتهم «لإيرا لابدوس» الذي سبق أن أشرنا إلى دراسته عن المدن الإسلامية في عهد المماليك. . . عموماً لقد قال عنهم: الصوفيون الذين يسمّون الحرافيش كانوا مجموعة من الرعاع المتشردين الذين ملؤوا المدن بالفضائح بما كانوا يرتدون من ملابس وحشية، ويمارسون من طقوس همجية. فلقد كان الحرافيش فئة من الشعب خطرة ومشاغبة.

هذا التاريخ الذي لا يرحم أحداً. . . لكن ربما يكون هذا كله محض افتراء فأين الأدلة؟

لعلنا إذا ذكرنا «لابدوس» قد يتهمه أحد بدعوى أنه غير مسلم وغير أمين، والأولى نوافقه فيها لكنها هنا تجعله يفر من الكذب حتى لا يجمع بين مصيبتين «كفر وكذب»، ولتأكيد ذلك ننقل كلام ابن بطوطة بحروفه إذ

يعرفهم بقوله: «طائفة كبيرة، أهل صلابة وجاه ودعارة». وهذا ما ذكره «لابدوس» بقوله: «وما يثير العجب، مع ذلك، أن الحرافيش كانوا رجالاً أقوياء البنية، وعاطلين عن العمل بحكم الظروف القاسية، أو عن قصد وتعمد على الأرجح»، ولكي نقترب أكثر من حقيقتهم سنترك «لابدوس» إلى معجم المصطلحات حيث قال في تعريفهم: «لقب اتصل منذ بداية العصر الأيوبي بجماعة من أحط طبقات المجتمع، أكثرهم من الشحَّاذين والمعوقين والمصابين ببعض العاهات، تميزاً بألبستهم الرثة ونزعتهم إلى الهرطقة واستعدادهم للثورة والفتنة في كل ظرف، وهم على شكل جماعة شبه منظمة، كان السلاطين يتوجسون منهم خيفة فاستحدثوا لكبيرهم منصب سلطان الحرافيش، وأوكلوا إليه أمر ضبط هذه الجماعة من باب الحد من طغيانهم».

لقد تجاوزوا الحدود كلها حتى قال ابن طولون في مفاكهة الخلان في وصف موكب سلطانهم: وفي بكرة يوم الأربعاء سادس عشرة دخل من مصر إلى دمشق ابن شعبان سلطان الحرافيش، وهو والأوباش حوله، والصفاقات والطبول تضرب بين يديه، والأعلام الصُّفر عليه، ثم أوصلوه إلى بيته، ثم رجعوا إلى تلقي زوجته، أيضاً بالصفاقات والطبول وخرج إليها نحو

مائتي امرأة بخِرَقٍ صُفر ملفوفة على عصائبهن وهن ركوب حولها، إلى أن وصلت إلى بيتها، ولا قوة إلا بالله، قيل إن السلطان ألقى الشر بينهما حتى أخذ منه مالاً بعد أن عرض عليه الإهانة، ثم أصلح بينه وبين زوجته.

لأجل هذا وغيره انتهى «لابدوس» إلى قوله: يبدو من المؤكد أن طوائف الحرافيش كانت نظام دراويش فمثلاً في العام ٨٧٥/ ١٤٧٠ ـ ٧١ ذهب وفد من العامة من القدس إلى القاهرة لتقديم عريضة إلى السلطان. وكان أحد أعضاء الوفد رجلاً يشترك في طقوس الدراويش. وكان هذا الرجل، وفقاً لما أوردته النصوص التاريخية، يقرع الطبل مع الدراويش ثم يصهل كالحصان.

اترك دموعَ الفجرِ في أوراقِها
حتى ترشَّفَهَا عروسُ النورِ
فَلَرُبَّما كانت أنيناً صاعداً
في الليل من متوجِّعٍ، مقهور
ذَرَفَتْهُ أجفان الصباحِ مدامعاً
ألأَّقَةً، في دوحةٍ وزهور



حرافيش غرناطة

وصف لسان الدين بن الخطيب أبا سعيد البرميخو في كتابه «الإحاطة» بعبارة قال المؤرخون «مختصرة جميلة» بقوله: «كان حرفوشاً على عرف المشارقة» وذلك لأعماله التي عُرف بها، ومنها أنه كان يتعاطى الحشيش، ولم يكن فريد عصره في جهاده الأكبر بتغييب عقله، بل كان دأب الخاصة والعامة من أهل غرناطة في القرن الثامن حتى تحول الجهاد لسد الثغور ودفع العدو إلى جهاد لساني في مساجلات شعرية للمفاضلة بين الحشيش والخمر... فما عليك لقد أطلق أحد الدعاة لقب «الأمة المحششة»، وشاعر غرناطة ابن الوحيد (ت ٧١١ هـ) يقول:

وخضراء بل لا تفعل الخمر فعلها
لها وثبات في الحشا وثبات
تؤجج ناراً في الحشا وهي جنة
وتبدي لذيذ العيش وهي نبات

وهناك أبيات تنازعتها المصادر فبينما تنسبها المغربية إلى الشاعر الغرناطي ابن خميس، تنسبها المشرقية للشاعر الدمشقي محمد بن علي بن الأعمى. . . أولها:

دع الخمر واشرب من مدامة حيدر
معتقة خضراء لون الزبرجد

والشيخ حيدر الذي تنسب إليه حشيشة الفقراء، متصوف مشرقي، فما الذي جمع بين المشرق والمغرب؟ رغم الملاحظة التي أبداها الرحالة الغرناطي ابن سعيد إذ عاب على المصريين أكلهم الحشيشة، ناقماً هذه العادة القبيحة وذكر أنها لا توجد في بلاده.

لقد سقطت الأمَّة اجتماعياً وتهاوت من عروش قيمها قبل أن تسقط تحت أقدام أعدائها حينما أصيبت بداء البله المغولي فنسيت من تكون وأرادت أن تنسى ولاكت بواقع تراجعها الخرافات والأباطيل حتى نُسِبَ إلى رسول الله ﷺ أنه قال عند عودته من الغزو «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»، وجعل «الحرافيش» الجهاد الأكبر «جهاد النفس» بحشيشة الفقراء، وفي غرناطة سقط شيخ الغزاة بقرار حرفوشي

سنة ٧٧٥ هـ، ومن المعروف أن فِرق الغزاة كانت من المغاربة المتطوعين في الجيش الغرناطي، وكان أكثرهم من قبيلة زناته، وطريقتهم كَرّ وفرّ، أطلق الأسبان عليهم Jinete وهو اسم مشتق من زناته ولا يزال مستعملاً إلى الآن في اللغة الأسبانية بمعنى فارس، ولما مدح صاحب الشرطة «البرميخو» باجتناب الناس الخمر في أيامه قال له في الملأ المشهود، والحشيش كيف حالها؟ فأجابه: ما عثرت على شيء منها فقال البرميخو: هيهات، انزل إلى بيت فلان وفلان، وعد كثيراً من الساسة والأوغاد والصفاعين، قال صاحب الشرطة: وانصرفت إلى ما ذكر فوالله ما أخطأت شيئاً مما رسمه، ولا فقدت شيئاً مما ذكره لغشيانه بيوتهم وانخراطه في جملة مُنتابيهم، يقول: فهو والله أستاذي في الشرطة!.

وكتب ابن الخطيب في الخامس عشر المحرم فاتح عام ثلاثة وستين وسبعمائة: وأظلم جَوُّ الشدة لهذا العهد فأمسك الله السحاب ورفع الغيث، وقد ذهب من فصل البذر أكثر من شطره، والسماء زجاجية الأديم، مشتعلة الكواكب، متقاذفة الرجوم، والأرض عليها قترة، وبيضة الملك قد اقتصرت على حوزتها، والفَلُّ المَوْتور قد انطلقت أيديهم، ورُجعَى المستبصرين في الوفاء

للمنهزم متوقع، والعرب قد شرهت إلى الإدالة، ومناها بذلك كل عرَّاف ومنتحل كهانة فاشرأبت أعناقها إلى استباحة ما يليها، والله يضم شمل المؤمنين، ويرأب صدع الدين، ويرفع مرير الفتنة عن العالمين.



عاشت فرنسا

ترجَّل الفرنسيس عن خيولهم واقتادوها إلى هناك حيث أعمدة الرخام التي كان يستند إليها بقايا الرجال. وبغطرسة فاقت كل حد صرخ أحدهم «هلم أيها الشجعان» لقد فر المماليك وسقطوا تحت نيران المدافع كيف يحاربوننا بسيوفهم أليسوا أغبياء؟!! ولم يبق إلا هؤلاء المعممون إنهم الآن تحت أيدينا فها هي خيولنا في أزهرهم، لقد راثت على كتبهم، وكذلك سنفعل بهم، أما العامة الرعاع فسنعلمهم كيف يكونون عبيداً لنا، نحن نعرفهم، جواسيسنا بينهم وسيحصون عليهم أنفاسهم «عاشت فرنسا»... «عاش نابليون»... أخيراً ها هي القاهرة عاصمة الشرق وحلم المدائن... أخيراً أيتها القاهرة لقد أحرقنا كل أخضر ويابس في الطريق إليك... دمرنا القرى... قتلنا الأطفال والشيوخ والنساء... قرابين يسوع... هؤلاء الأغبياء قبعوا هنا والتفوا حول هذه الأعمدة وظلوا يهتفون: ويصرخون إن

طلقة واحدة من مدافعنا ستقضي على كل صرخاتهم، نسينا النساء... نساء الشرق الجميلات... لقد حملنا هؤلاء الداعرات معنا من فرنسا إلى هنا أظن لا حاجة بنا إليهن الآن فلدينا كل النساء، سندخل بيوت الأشراف وسنأخذ النساء إلى الضاحية هناك لمتعتنا عند البِركة، إنهن ـ كما يقولون عنهن ـ شريفات، آه، نحن نحب هذا النوع من النساء... لقد اغتصبنا البلد، فما الذي يبقى؟ لم يبق إلا النساء، ولن ينفعهن الصراخ، لا بد وأن يحملن معنا حتى نعلمهن الحضارة «عاشت فرنسا» أيها الشجعان لقد اقترب المساء هلم إلى هناك فقائدنا العظيم سيتلو على هؤلاء المغفلين «المنشور»، لقد جئنا من أجل التحرير... جئنا من أجل الحضارة... جئنا من أجل مصر... جئنا من أجل الإسلام، أليس كذلك أيها الشيخ؟ نعم... نعم يا سيدي، فأنتم حُماة الإسلام «عاش مولانا نابليون» سنحتفل غداً بمولد سيدي الحسين وسنخرج الزفة من هناك، سنضيء الشموع، ونضرب النوبات، ونردد صراخ كربلاء «عاشت فرنسا»... «عاش مولانا نابليون» أيها الشيخ أخبر الشعب أننا نحب الإسلام وجئنا من أجل الإسلام... نعم... نعم يا سيدي، فأنتم جئتم من أجل هذا الشعب المظلوم الذي ظلمه الألفي وسنجر هؤلاء المماليك، إنهم لصوص سرقوا أموال الناس، أما أنتم،

فأنتم الملوك الذين لا تظلمون، أنتم قانون العدل، أنتم لم تقتلوا إلا من قاتلكم... إنه شعب جاهل أحمق لا يدري مصلحته، الأَوْلى أن يقاتلوا المماليك لا أن يقاتلوكم، مسكين هذا الشعب يا مولاي، أليس كذلك؟!!.

لا تخف أيها الشيخ سنحررهم وسنعلمهم الحضارة، سنجعل مصر جنة الدنيا، نعم يا سيدي لقد رأيت نساءكم الشريفات الجميلات النظيفات، المرأة كأنها حورية من الجنة.

ولكن يا سيدي خيولكم تعبت... سنجمع لكم الحمير فهي عندنا كثير...

شكراً أيها الشيخ ستكون معنا غداً في الديوان فسأجمع النبلاء الذين يحبون الحضارة والحرية وفرنسا لنُكوِّن منهم حكومة الشعب التي ستحكم الشعب... نعم... نعم يا سيدي فأنتم تحبون الشعب، وأظن أنهم سيحبونكم، وسيرددون معنا لكم الهتافات «عاشت فرنسا»... «عاش نابليون».

مولانا: النساء حول البِركة، سأذهب إليهن فإني أحب الحضارة وأحب الحرية وأحب فرنسا «عاشت فرنسا»... «عاش نابليون».



بغداد

في سنة خمس وخمسين وستمائة رحل سلطان المغول هولاكو من همذان نحو العراق. واتصل خبر ذلك بالخليفة المستعصم الذي يقول عنه مؤرخ بغداد ـ ابن الفوطي ـ في كتابه ـ «الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة» ـ أهمل حال الجند، ومنعهم أرزاقهم، وأسقط أكثرهم من دساتير ديوان العرض، فآلت أحوالهم إلى سؤال الناس، وبذل وجوههم في الطلب في الأسواق والجوامع. ونظم الشعراء في ذلك الأشعار؛ فمما قاله المجد النشابي من قصيدة:

يا سائلي ولمحض الحق يرتاد
أَصِخْ فعنديَ نشدانٌ وإنشاد
واسمع فعندي روايات تحققها
درايةٌ وأحاديثٌ وأَسناد
فهمٌ ذكيٌّ وقلبٌ حاذقٌ يقظٌ
وخاطرٌ لنفوذ النقد نقاد

عن فتية فتكوا في الدين وانتهكوا
حِـمـاهُ حـمـلاً بـرأيٍ فـيـه إفـسـاد

إلى أن قال:

الـكـفـر أضـرم فـي الإسـلام جـذوتـه
ولـيـس يـرجـى لـنـار الـكـفـر إخـمـاد
واضَيعة المُلكِ والدين الحنيف وما
تـلـقـاه مـن حـادثـات الـدهـر بـغـداد
أيـن الـمـنـيَّـة مـنـي كـي تـسـاورنـي
فـلـلـمـنـيَّـة إصـدار وإيـراد
مـن قـبـل واقـعـةٍ شـنـعـاءَ مـظـلـمـةٍ
يـشـيـب مـن هـولـهـا طـفـل وأكـبـاد

وأستميحك عذراً أيها القارئ العزيز في ترك بعض الأبيات، والشاهد يرى ما لم يره الغائب، وابن الفوطي شاهد، فلقد وُلد سنة **٦٤٢ هـ** وأسر في واقعة استيلاء هولاكو على بغداد سنة **٦٥٦ هـ** فما الذي حضره وشاهده؟

كان الخليفة جالساً في رواقه وبين يديه صغيرة من مولدات العرب تسمى «عرفة» كانت مدللة مطبوعة مضحكة، فأصابها سهم دخل من بعض الشبابيك

فقتلها، فانزعج الخليفة لذلك وأحضر السهم بين يديه فإذا عليه مكتوب «إذا أراد الله أن ينفذ قضاءه سلب ذوي العقول عقولهم»، فكيف سلب الله ذوي العقول عقولهم؟

خرج الوزير مؤيد الدين بن العلقمي إلى خدمة السلطان ـ هولاكو ـ في جماعة من مماليكه وأتباعه، وكانوا ينهون الناس عن الرمي بالنشاب ويقولون: سوف يقطع الصلح إن شاء الله فلا تحاربوا، هذا وعساكر المغول يبالغون في الرمي، وقد اجتمع منهم خلق كثير على برج العجمي. . . ثم ماذا فعلوا؟

نصبوا عليه المناجيق وواصلوا الرمي بالحجارة فهدموه وصعدوا على السور في اليوم الحادي والعشرين من المحرم، وتمكنوا من البلد.

وابن العلقمي ماذا فعل؟

عاد إلى بغداد وقال للخليفة: «قد تقدم السلطان أن تخرج إليه، فأخرج ولده الأوسط وهو أبو الفضل عبدالرحمن في الحال فلم يقع الاقتناع به، فخرج الخليفة والوزير في يوم الإثنين ثامن عشر المحرم ومعه جمع كثير، فلما صاروا ظاهر السور منعوا أصحابه من الوصول معه، وأفردوا له خيمة وأسكن بها. . .».

ثم دخل الخليفة بغداد يوم الأحد رابع صفر ومعه جماعة من أمراء المغول وخواجه نصير الدين الطوسي، وأخرج إليهم من الأموال والجواهر والحلي والزركش والثياب وأواني الذهب والفضة والأعلاق النفسية جملة عظيمة.

ثم ماذا؟

أمر هولاكو بقتله فقتل يوم الأربعاء رابع عشر صفر.

كيف؟

لم يهرق دمه، بل جُعل في غرارة ورفس حتى مات.

والناس ماذا فعلوا بهم؟

وضع السيف في أهل بغداد يوم الاثنين خامس صفر وما زالوا في قتل ونهب وأسر وتعذيب الناس بأنواع العذاب واستخراج الأموال منهم بأليم العقاب مدة أربعين يوماً، فقتلوا الرجال والنساء والصبيان والأطفال فلم يبق من أهل البلد ومن التجأ إليهم من أهل السواد إلا القليل، ما عدا النصارى فإنهم عين لهم شحان حرسوا بيوتهم.

وأنت ماذا فعلت يا بن الفوطي؟

وقفتُ من بعدهم في الدار أسألها

عنهم وعما حووا فيها وما ملكوا

أجابني الطلل البالي وربعهمُ الـ

ـخالي: نعم هاهنا كانوا وقد هلكوا

لا تحسبوا الدمع ماءً في الخدود جرى

وإنما هي روح الصب تنسكبُ



سياحة الصيف
كان يا ما كان

ـ أطال الله في عمر السلطان علاء الدين كيقباد ألف عام، ليكن معلوماً لِمَلِكِ الأُمراء أنني مذ سمعت أنَّ رايات مَلِك العالَم الغالبة وجيشه قد توجهت إلى هذه النواحي، اضطربت الروح في جسدي، وأنا لا أدري ما الأمر؟ ومن الخصم والمنازع؟ فإن كان جيش القبجاق قد وقع بحماقته في الضلالة، وأهرقوا الكثير من الدماء الزكية على الأرض هدراً، فما أنا إلا مملوك للسلطان، بكل إخلاص! ويقيني أنكم استخلصتم هذه الديار بالسيف البتار فلن يسلم لكم ضبطها وإصلاحها دون قائد، فاعتبروني أنا نفسي المملوك الذي استعملتموه لها. وإنني أتوقع من حضرة مَلِك الأمراء أن يبذل شفاعته في هذا الباب، وأن يرسل للسلطان مبيناً له خشوع هذا المملوك المسكين وخضوعه ـ.

هذه الرسالة الخاضعة الخانعة التي تدل على دهاء صاحبها وخبثه وذلته أرسلها «ملك الروس» لمَلِكِ الأمراء الأمير «حسام الدين جوبان» قائد جيش السلطان «علاء الدين السلجوقي» ذاك الملك المجاهد الذي سماه الملوك في عصره «ملك العالم» وكان رحمه الله على غاية في العدل ومحبة الجهاد، جاء التجار إلى بلاطه يشكون ليه مظالم الروم وظلمهم وقال قائلهم: فإن لم يكن لدى النصارى خوف من هذا البلاط فمن أين لنا بعدل سلطان يعالج لواعج هذا الظلم.

وقال الثاني: وضعت كل ما ادخرته طيلة عمري في سفينة، وبادرت بالسفر بحراً، فهجم الفرنجي علينا وأخذ كل ما كان معنا وأسر الكثيرين، وقال الثالث والرابع، قالوا، وقالوا... فماذا قال السلطان؟

قال رحمه الله: «الروم إن لم تُغْزَ غَزَت» وجهز الجيوش تحت إمرة «ملك الأمراء» فعبرت بحر الخزر حتى بلغت بلاد الروس فأرسل ملكهم رسوله برسالته التي أجابها «ملك الأمراء» بقوله: إن السلطان لا يلقي أحداً أبداً في هاوية الهوان دون ذنب اقترفه، بيد أنه لا يسمح بإهمال ولا إمهال في

البطش بالمتمردين، لو جعلت من نفسك مملوكاً له لأصبحت ملكاً. وتناساه «ملك الأمراء» واشتغل بفتح «السغد» حتى أرسلوا رسلهم تقول: أجل، قد بلغت جرائمنا وزلاتنا أقصى الغايات، لكن الأمر يسهل علينا إن جعلنا لطف ملك الأمراء لنا شفيعاً».

ـ وعند الفجر حين أُطفئ قنديل القمر، وأُشعل شمع الخميلة الزرقاء، أمر ملك الأمراء بأن يلبس الجند بأسرهم السلاح. ودخل المدينة وكتب إلى السلطان يستعطفه على أهلها فقال السلطان: قد تجاوزنا بشفاعة ملك الأمراء عن سفاهة السغديين، ومنحناه ما اقترفوه من ذنب، لكن بشرط أن يحل المحراب والمنبر وشريعة النبي ﷺ شعاراً وقانوناً عِوَضَ الوثن والناقوس، وأن يردوا ما قد أخذوه من تجار الديار.

أُقيم المنبر، ووضع المصحف، فأخذه ملك الأمراء ووضعه على رأسه وأمسك راية السلطان بكفه وأذن المؤذن... إنها غزوة الصيف بعدما قضى السلطان الشتاء وأيام الثلوج في تلك الرياض والمروج، وحين بدأت رياح الربيع في الهبوب، وأخذ البرد في الذوبان كقلوب العاشقين، وشرعت عروق الأرض في الضرب والخفقان كقلوب المشتاقين صدرت الأوامر لأطراف

البلاد إلى الأمراء والأجناد كي يحضروا إلى «قيصرية» المحروسة.

هي ليست بمدينة، بل عالم بأسره، هي بحر عميق، غير أنها سُميت: مدينة «سلجوقنامه».



كوسوفا

لا أزعم أني فعلت شيئاً فالمسألة في عقيدتي توفيق من الله، وهو القادر سبحانه على نصرة دينه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ [الحج: ١٥].

والذي ييأس في الضر من عون الله يفقد كل نافذة مضيئة، وكل نسمة رخيَّة، وكل رجاء في الفرج، ويستبد به الضيق، ويثقل على صدره الكرب، فيزيد هذا كله من وقع الكرب والبلاء.

ونحن نعيش كرباً وبلاءً ربما لم يعرف تاريخ المسلمين مثله قبل اليوم، ويا ليت الأمر قد اقتصر على شدة الأحداث، ودموية المصاب، ورعب المطلع، وهلع المفزع، ولكنه ويا ليت وماذا تصنع يا ليت في أمةٍ أصابها الوهن وأقعدها العجز، فما عادت تستطيع

حتى الصراخ في صمتٍ جنائزي تُشيَّعُ فيه كرامة الأمة وتصادر فيه آه الألم، وحسرة الندم... سكتت الأقلام... خرست الإذاعات... خارت الفضائيات؛ فالأمة مشغولة بمسابقات جمال النساء، وسخافات السفهاء في طاحونة تذهب بما بقي من رشد العقول وشفافية الشعور وسمو الإدراك... مسابقات... مهرجانات، والدماء تسيل، والأعراض تُنتهك، والأرض تُسلب، والشعب يشرد، والسياسة «أرض محروقة» وكأن «كوسوفا» ليست من ديار الإسلام، وكأن «الألبان» ليسوا شعباً مسلماً مع كل التحفظات التي يُروِّج لها النخاسون في مزاد التحليلات السياسية.

إننا نعيش حالة من البلاهة «العقيدية» أنستنا ما توجبه علينا عقيدتنا، وما يَلزم المسلمَ حيال أخيه المسلم، ولا نزال نمارس تفريغ الأمة من مقومات دينها، يمارسه البعض في خبث، ويمارسه الآخرون تجارةً، والأكثرية يمارسونه «بلاهة» لنبرر واقع الأمة في قعودها وشللها وفي وهنها وعجزها...

ومن أنتمُ؟ إنا نسينا من أنتمُ
وريحكم؟ من أي ريح الأعاصر؟

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ

رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ [الأنفال: ٤٦].

لقد تخلت الأمة عن قيادة النبوة، وتنازعت ففشلت، وذهبت قدراتها أدراج الرياح.

أمام مأساة «كوسوفا» ونحن جميعاً نشاهد اليهود يمارسون خدعة الاستلاب للمسلمين الألبان في مسرحية «الإيواء»... الطائرات اليهودية وبها المسلمون يلوحون بعلم اليهود، الأجساد المسلمة وهي ترتدي نجمة «إسرائيل» وكأنها تعويذة النجاة من الكرب العظيم، رئيس الوزراء وزوجته في مقدمة المستقبلين وقبلات حارة وعناق بارد! ومن سيدفع الثمن ويسدد الفاتورة؟!.

وتستمر مسرحية «البلاهة» لكن الجمهور لن يصفق: إنه يبكي بصدق وحرارة، لقد استطاع أن يتوحد لدقائق «شعورياً» في عظمة رصيد الأمة لأنها لم تمت ولن تموت إن شاء الله، ما بقي فيها من أهل العلم من يقوم بحق الله في بيان دين الله لا يخاف إلا الله.

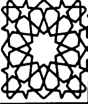
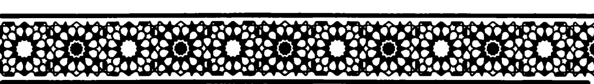
إنه موقف تاريخي[١] لشيخنا «القرضاوي» وأخينا «القَرَة داغي» يحسب لهما إن شاء الله في رصيدهما عند الله... إنه موقف تاريخي لكل من شارك وتألم

(١) في لقاء تلفزيوني لنصرة المسلمين في كوسوفا.

وقدَّم ولو بالقليل... موقف لطفل من فلسطين ولن ننسى «فلسطين»... موقف أدركت معه أن على الدعاة ألاَّ ييأسوا؛ فالإسلام هو روح هذه الأمة، وبه تحيا، ومنه تستمد الحياة.

الحمد لله، فالخير في الأمة، وسيبقى بها الخير، لكن أين من يُحسن الاستثمار؟!!.



الفصل الثالث: أحداث وأشخاص

- رابطوا في مصارع العشاق.
- كنت قِسًّا.
- المقنع.
- تيس.
- رأس جرجير.
- حمزاه.
- الضلال.
- كلمة عظيم.
- سمعت شيخ الإسلام.
- دار الفتح.
- ابن باز.
- ابن عثيمين.
- وداعاً.
- سيدي تحفة ١، ٢.
- أليعاذر.
- هذا دين سوء.
- إيثار الأنصار.
- زلبطة.
- آه.
- سكنجبين.

في مصارع العشاق

«قُتِلَ مقبلاً غير مدبر» أتدري من هو؟ ومن الذي قال فيه هذا؟ وفي أي وقعة كان؟

أبدأ بالثانية، فصاحب هذه المقالة هو الإمام ابن حجر في كتابه «إنباء الغمر»، وأما فيمن قيلت فقد قالها في «عاشق» بل من كبار العشاق صاحب كتاب «مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق»، وأما كيف كان مصرعه؟ قال الحافظ: وفي سنة ٨١٤ هـ هجم الفرنج على أهل «الطينة» قرية في مصر، وخرج أهل دمياط لنجدتهم، وكان كبيرهم ابن النحاس، ودارت معركة كبيرة بينهم، فقُتل مقبلاً غير مدبر، إنه ابن النحاس الذي كان ملازماً للجهاد بثغر دمياط.

وسلني عن «ثغر دمياط» أحدثك حديث اليقين فقد عشت تحت «برج السلسلة» من عمري أكثر من ثمانين سنين وما بين «البرج» وبيت جدي ـ رحمه الله ـ إلا خطوات معدودة حيث ولد أبي... إنها الثغر الذي فر

إليه ابن النحاس للرباط فيه بعد أن اجتاحت جيوش المغول بقيادة تيمور لنك بلاد الشام، ودخلوا حلب وأسرفوا في القتل حتى صارت الأرجل لا تطأ إلا على جثة إنسان، وكان عدة من قتل من أهل حلب نحوا من عشرين ألفا، عدا من هلك تحت أرجل الخيول عند اقتحام المدينة، وهلك من الجوع والعطش أكثر من ذلك، وخرج الناس إلى دمشق هاربين فزحف خلفهم الطاغية بجنوده حتى دخلها وحل بأهلها من البلاء ما لا يوصف في تسعة عشر يوماً كجحيم تلظى سبياً للنساء وهتكاً للأعراض وسفكاً للدماء وما رحل عنها الطاغية إلا وقد أصبحت خراباً يباباً فاجتمع من بقي من أهلها وخرجوا إلى الديار المصرية ومعهم ابن النحاس الذي نزل مدينة «المنزلة» ثم تحول إلى دمياط فاستوطنها إلى أن استشهد واستجيبت دعوته «إليك اللهم نمد أكف الضراعة أن تجعلنا منهم، وألا تحيد بنا عند قيام الساعة عنهم، وأن ترزقنا من فضلك شهادة ترضيك عنا» وذلك في مقدمة كتابه «مصارع العشاق»[1] في فضائل الجهاد، قال: لما رأيت الجهاد في هذا الزمان قد درست آثاره فلا تُرى، وطمست أنواره بين الورى، وأعتم ليله بعد أن كان مقمراً، وأظلم نهاره بعد أن كان

(١) وهو مطبوع وشارك في تحقيقه أخونا الدكتور/ إدريس.

نَيِّراً، وذَوَى غُصنه بعد أن كان مُورِقاً، وانطفأ حُسْنُهُ بعد أن كان مشرقاً، وقُفلت أبوابه فلا تُطرق، وأُهملت أسبابه فلا ترمق، وصفنت خيوله فلا تركض، وصمتت طبوله فلا تنبض، وربضت أسوده فلا تنهض، وامتدت أيدي الكفرة الأذلاء إلى المسلمين فلا تقبض.

قلت: وكيف تقبض أيدي الكفرة الأذلاء عن المسلمين وقد غفلوا عن آخرتهم ووقع فيهم ما أخبر به الصادق المصدوق في حديث صحيح خرجه أبو داود بإسناد حسن من رواية ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذُلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**».

قال ابن النحاس: دل قوله ﷺ: «**حتى ترجعوا إلى دينكم**» على أن ترك الجهاد والإعراض عن الدين والسكون إلى الدنيا خروج عن الدين ومفارقة له، وكفى به ذنباً وإثماً مبيناً.

و«بيع العينة» فيه شبهة الربا، والربا حرب على الله ورسوله، ومن حارب الله... حاربه الله «سلَّط عليكم ذلاً».

أما كسب الشبهة فقد قال ابن النحاس في

صاحبه: وأما من اكتسب من الشبهة وأذله الطمع للخلق فهو وإن كان عزيزاً في الظاهر فقلبه بأنواع الذل عامر، وإن كان في الظاهر غنياً بما جمع، فهو في الباطن فقير بالحرص والطمع، وتأبى المكاسب الدَّنِيَّة إلا أن تورث هذه الأخلاق الرَّدِيَّة.

وما بقي إلا أن نقول «لا حول ولا قوة إلا بالله» فإن بها كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: تُحمل الأثقال، وتُكابَدُ الأهوال، ويُنال شريف الأحوال.



كنتُ قِسًّا

هكذا فاجأني بهذه الجملة التي جعلتني أترك مقعدي وأجلس بجواره على الأرض سائلاً إياه: من؟

فقال: أنا الذي أجلس بجوارك. فقلت: أهلاً بك وهنيئاً لك الإسلام، ولكن كيف عرفت الطريق إليه؟

قال: هذه قصة عجيبة، وبدايتها أعجب ما فيها، لقد كنا هناك في الدَّيْر الكبير على سفوح جبال اليونان لا نعرف شيئاً عن الدنيا، نعرف السماء والأرض حيث ننام عليها، ونعيش حياة تقشفية رهبانية من الطفولة بعد أن تركني أبواي خلف الأسوار العالية ليحققا رغبتهما لأكون قديساً أو قسًّا أو راهباً. وعاشا ينتظران هذا اليوم... ولكن إرادة الله سبقت رحمته إليَّ فأنقذني مما كنت فيه، صديقي لا أنساه، قضينا الطفولة معاً في غياهب الدير وظلماته، حتى بلغنا المراهقة ودخلنا

أوائل الشباب، وإذا بالمرض يداهمه، فاستدعاني، وأمرني بإغلاق الباب، وأخبرني أنه يشعر باقتراب أجله، وسألني أن آتيه بالقديس الكبير، فذهبت إليه، وأخبرته بمرض صاحبي فوعدني أن يأتي بعد قليل. عدت سريعاً لأجد صاحبي في النزع الأخير، أمسك يدي واستحلفني بأغلظ الأيمان ألا أفشي سره لأحد، وعدته والدموع تسابقني وتسابقه، وهي تكاد تحبس الأنفاس... أخيراً، وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، امتدت يده تحت وسادته وكانت المفاجأة: لقد أخرج مصحفاً، كتاب المسلمين، امتدت يده به، وفارقت روحه، على عجل دسست أمانته في مكان أمين ثم ذهبت لأخبر بموته، جاؤوا كلهم، وأقاموا مراسم النصرانية، والحيرة تأكل قلبي، وددت لو امتدت به حياةٌ ليخبرني بقصته.

لقد كنت صديقه وموضع سره... فارقني وأنا في حيرة... من يكشف حيرتي... إنهم... هم أهله، سأذهب إليهم... ولكن كيف أخرج من الدير، وأنَّى لي بعنوانهم... بدأت الصعاب... لا بد أن أعرف... مهما كان... هناك قابلتهم، عرفت من أول وهلة أنهم ليسوا نصارى... يستخفون بدينهم، عصبية سوداء في بلاد الرجل الأبيض.

عدت إلى الدير وأنا لا أفكر إلا في الخروج منه، جاء موعد الاختبارات، وكنت الأول فخُيرت بين الذهاب إلى الإسكندرية أو القدس... اخترت القدس، وصورة صاحبي لا تفارقني.

لقد آن الأوان لإخراجه من تابوته، وغسل عظامه وإعادته... لقد أخبرني أن أخبرهم ألا يفعلوا، مضى العام، وها هم يضربون بالفأس، لقد أصابه فجرحه ونزف دمه!، إن جسده كما هو لم يتغير فيه شيء... أعادوه وهم يتعجبون وحيرتي تزداد... مضت الأعوام، وبعد ثلاثٍ حفروا فوجدوه كما هو لم يتغير منه شيء... قالوا في صوت واحد: إنه قديس، لا بد من وضعه في صندوق الزجاج ليراه الناس، فعلوا ما أرادوا... لكن ماذا أفعل أنا؟، سافرت إلى القدس، ومن شرفة الكنيسة رأيت عجوزاً تتوضأ، دخل الإسلام قلبي فدخلته.

لقد أدخلني اليهود السجن... لكن يهون كل شيء فأنا مسلم... لقد عرفت الحق... واليوم جاء معي ابن أختي وحضر درسك في تفسير سورة الكهف، وكان يريد أن يصلي لكنني منعته، قلت له: أولاً الإسلام ثم الصلاة... مسحتُ دموعي وقلت: موعدنا تفسير سورة مريم... قال: نعم، سنأتي أنا وأبناء أختي

لعل الله يهديهم. . . فلقد أسلم على يدي قريباً ثلاثة قساوسة.



المُقَنَّع

رأيت صلعتها تبرق كبريق «قمر المقنع» خسفٌ حضاري لو رآه المعرِّي وهو يقول:

أفـق إنـمـا الـبـدر الـمـقـنـع رأسـه
ضـلالٌ وغـيٌّ مـثـل بـدر الـمـقـنـع

لقد رحم الله ـ أبا العلاء ـ بكف بصره فلم ير هذا الهراء، ورحمه ثانياً بأنه لم يدرك عصر السفهاء على أن مقنع عصرهم مع مكره ودهائه وكفره وغبائه لهو بلا شك دون مكر «العُصيرين» من أفراخ العلمانيين فلقد كان أعور لكن قصيراً أما هؤلاء فعميان على سواء، فُصحاء تنطق ألسنتهم بهراء قلوبهم.

والفارق بينهم وبينه وجهه؛ لأنه كان يدرك أنه مُشوَّه، فتقَنَّع بقناع من ذهب مع ما كان فيه من البلاء بإدعاء الربوبية مرة واحدة كفاحاً، وهم يحاربون الدين تباعاً، ويتدسسون نفاقاً حتى ينتهي إلى ما أرادوه من

شعائر ولو بوثنية الفراعنة لأن «الدين» فلكلور، ولو بأقنعة الطين من تراث السابقين وابحث عن سر الإحياء لكل ملل الكفر البائدة، وأصول البدع الزائغة وطرحها في السوق من جديد لتعلم ماذا يريدون بالدين إذا أردت أن تعلم!.

والمشكلة أن أئمة الضلال في كل العصور السابقة كانوا على بلاهةِ الذي ادعى الربوبية بمُلْكِ مصر فقال ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ فنابذ الدين علانية، واتخذ لنفسه موقفاً ولو كان مخزياً، أما هؤلاء فيتسمَّوْنَ بأسماء المسلمين، وربما يتكلمون في الإسلام كمجددين.

وإذا كان التاريخ يقول في المقنع: تابَعَهُ خلقٌ من ضُلاَّل الناس، وكانوا يسجدون له من أي النواحي كانوا. فماذا سيقول غداً عن تابعي هؤلاء الذين أُشربوا في قلوبهم خوار عجلهم، وعكفوا على مزابل أفكارهم، فحلقوا عقولهم، ولمعت صلعاتهم؟!!

إن الدين فطرة لن يُجتثَّ من الناس، وهم يعلمون ذلك، لكن بإمكانهم أن يحرفوا الناس عنه تزييفاً وتزويراً وتطويراً و«تنويراً» ليعود الدين في النهاية «لا دين».

والمعركة ليست مع الأديان الباطلة لأنهم يعلمون أنها باطلة إنما معركتهم مع الدين الحق.

أولاً: أن يعرفه الناس كما جاء من السماء قبل أن يحاول التلاعب به شياطينُ الأرض، لذلك يسارعون في تشويه حقائقه والتلاعب بعقائده في غفلة من أهله.

ثانياً: هم يعلمون ما معنى أن يعود الناس إلى الدين الصحيح، وآثارَ ذلك لا عليهم بل على العالم كله، لذلك وهو مأسور يزيدون في قيده بالتنفير عنه، والتحقير في سياسة الاستعلاء بالباطل: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الشعراء: ٥٣، ٥٤]... وأخيراً ستفجر العلمانية نفسها وستحرق أصولها وفروعها وهاك مثلها ـ: فلما أيقن بالهلاك جمع نساءه وأهله وسقاهم السم فأتى عليهم، وأمر أن يحرق هو وأهله بالنار لئلا يُقدر على جثته ـ هذه رواية، والثانية: قيل بل أحرق كل ما في قلعته من دابة وثوب وغير ذلك ثم قال: من أحب أن يرتفع معي إلى السماء فليلق نفسه معي في هذه النار. وألقى بنفسه مع أهله ونسائه وخواصه فاحترقوا، وهكذا كل وثنية ـ ولو كانت عصرية علمانية ـ ستنتهي ولو بعد حين. ولكن المسألة دائرةٌ على حكمة «ليبلوكم» وكان من الابتلاء أن أرى

هذه الراهبة البوذية الصلعاء، فتذكرت عندها فتنة «الصُلعان» حفظني الله وإياكم من لمعانها.



تيس

التيس من المعز، والجمع تيوسٌ وأتياس، وإنما تتيس جمعهم كما يقول أهل الخبرة لقسوة قلوبهم، والمتياسة تقول لأهل المكنسة تكايسوا أما علمتم أقفالَها وقد جاءتهم أشراطها، وفي سنن أبي داود ومسند أحمد عنه ﷺ قال: «**لن يَهلِك الناس حتى يُعذِروا من أنفسهم**»، قال العلماء: يعني أنهم لا يهلكون حتى تكثر ذنوبهم وعيوبهم فيستوجبون العقوبة ويكون لمن يعذبهم عذر كأنهم قاموا بعذرهم في ذلك. ويؤيده ما رواه أحمد من حديث أم سلمة؛ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا ظهرت المعاصي في أمتي؛ عمَّهم الله بعذاب من عنده**». فقلت: يا رسول الله! أما فيهم يومئذ أناس صالحون؟ قال: «**بلى**». قلتُ: فكيف يَصنعُ بأولئك؟ قال: «**يصيبهم ما أصاب الناسَ، ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان**»[(١)].

---

(١) في سنده ليث ابن أبي سليمان وهو ضعيف.

والسلامة لا تكون إلا بالطاعة، قال كعب: إنما تُزلزل الأرض إذا عُمل فيها بالمعاصي، فترعدُ فَرَقاً من الرب جل جلاله أن يطلع عليها، ومع هذا كله فقد يبست قلوبهم بغفلتهم عن أنفسهم ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾، ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾، فتعارفوا على منكرهم، وسكت راشدهم، وجلجل سفيههم، وفي حديث جرير عند أحمد أن النبي ﷺ قال: **«ما من قوم يُعمَلُ فيهم بالمعاصي، هم أعزُّ وأكثر ممن يعملُهُ، لم يُغيروه؛ إلا عمهم الله بعقاب»** وأظن أن العقاب يبدأ أولاً «بالتياسة» لعقولهم وقلوبهم، ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾، وكيف يفقهون؟!! وهم في كل ثانية ينسلخون، قيل لحذيفة - رضي الله عنه - في يوم واحد تركت بنو إسرائيل دينهم؟ قال: لا، ولكنهم كانوا إذا أُمروا بشيء تركوه، وإذا نُهوا عن شيء ركبوه، حتى انسلخوا من دينهم كما ينسلخ الرجل من قميصه، ومما لا شك فيه أنه بالعادات تصير المعاصي والطاعات هيئاتٍ راسخةً، وصفاتٍ لازمةً، وملكاتٍ ثابتةً، وأقل ما في المعاصي عقوبة «التياسة»، قال بعض السلف: ما عصى الله أحدٌ حتى يغيب عقله، وأنا أُشهد الله على غياب عقول هؤلاء العلمانيين، وإلا لو كانت لهم بقايا عقول لثابوا إلى ربهم وأنابوا.

ورُبَّ «تيس» أعقل منهم، فمن ظريف ما يُحكى عن ملك النُّحاةِ: أن نور الدين محموداً خلع عليه خلعة سنيةً ونزل ليمضيَ إلى منزله فرأى حلقةً عظيمةً فمال إليها لينظر ما هي؟ فوجد رجلاً قد علَّم تيساً له استخراج الخبايا وتعريفه ما يقول له من غير إشارة، فلما وقف ملك النحاة، قال الرجلُ لذلك التيس: في حلقتي رجل عظيم القدر، شائع الذكر، ملك في زي سوقةٍ، أعلم الناس، وأكرم الناس، وأجمل الناس، فأرني إياه، فشق ذلك التيس الحلقة، وخرج حتى وضع يده على ملك النحاة، فلم يتمالك ملك النحاة أن خلع تلك الخلعة، ووهبها لصاحب التيس، فبلغ ذلك نور الدين فعاتبه: استخففت بخلعتنا حتى وهبتها من طُرَقِيّ؟

فقال: يا مولانا عذري في ذلك واضح، لأن في هذه المدينة زيادة على مائة ألف تيس، ما فيهم من عرف قدري إلا هذا التيس، فجازيتُهُ على ذلك.

وهؤلاء الملايين: ألا يوجد فيهم رجل رشيد؟!!.

ذهبَ الرجالُ المقتَدى بفعالِهم

والمنكرون لكل أمر منكرِ

مع شدة اعتذاري للاتحاد العالمي للتيوس (S.I.P).

رأس جرجير

وإن كنت لا أعرف للجرجير رأساً، فليس حديثي عن الجرجير شقيق الفجل، إنما هو جرجير مع نوع آخر، وللنباتات في أحاديث الرسول ﷺ دراسة قيِّمة أعدها الأستاذ الدكتور كمال الدين حسن البتانوني أستاذ علم البيئة، ورئيس المنظمة الدولية لبيئة الإنسان ـ في فيينا ـ.

فمن رأس جرجير الذي نقصده، ومن يكون؟

إنه «جرجير» ملك الروم بشمال أفريقية الذي كان يحكم من طرابلس إلى نهاية طنجة، وكان مقر مُلكه مدينة «قرطاجنة» التي يحمل منها الخراج إلى هرقل «قيصر الروم» الذي ولاَّه مُلك هذه البلاد، ولما تولى عبدالله بن سعد بن أبي السرح ـ رضي الله عنه ـ ولاية مصر بعد عمرو بن العاص في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان ـ رضي الله عنهم ـ كتب عبدالله بن سعد إلى عثمان يستأذنه بفتح إفريقية،

واستشار عثمان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فأشاروا بالإقدام فجهز عثمان المدد من المدينة بجيش عُرِفَ بجيش العبادلة، فيه عبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وعبدالله بن الزبير، وعبدالله بن جعفر، والحسن والحسين ـ رضي الله عنهم ـ.

سار عبدالله بن سعد بجيشه البالغ تعداده عشرين ألفاً ليلتقي بجيش «جرجير» البالغ عدده مائة ألفٍ، والتقى الجيشان، واستمرت الحرب أياماً، حتى وصل للمسلمين مدد بقيادة عبدالله بن الزبير رضي الله عنه، ورأى ابن الزبير أن القتال يبدأ من الصباح إلى الظهيرة ثم يتوقف، ومن الطرائف أنه افتقد عبدالله بن سعد فسأل عنه فقيل: إنه سمع منادي «جرجير» يقول: «من قتل عبدالله بن سعد فله مائة ألف دينار وأزوجه ابنتي، فحضر ابن الزبير مجلس عبدالله بن سعد وأشار عليه بأن يأمر منادياً ينادي بين المسلمين: من أتاني برأس «جرجير» نقدته مائة ألف وزوجته ابنته واستعملته على بلاده، ففعل ابن أبي السرح فانقلب أمر «جرجير» عليه وصار يخاف على نفسه، ثم أشار ابن الزبير بقوله: إن أمرنا يطول مع هؤلاء وهو في إمدادات متصلة، وبلاد هي لهم، ونحن منقطعون عن

المسلمين وبلادهم، وقد رأيت أن نترك غداً جماعة صالحة من أبطال المسلمين في خيامهم متأهبين، ونقاتل نحن الروم في باقي العسكر إلى أن يضجروا ويملوا، فإذا رجعوا إلى خيامهم ورجع المسلمون، ركب من كان في الخيام من المسلمين، ولم يشهدوا القتال وهم مستريحون، ونأخذهم على غرة، فلعل الله ينصرنا عليهم. . . هذه واحدة من عبقرية جهادية تلتها الثانية: لما نظر ابن الزبير فرأى «جرجير» خارجاً من عسكره على برذون أشهب ومعه جاريتان تظلانه بريش الطواويس وبينه وبين عسكره أرض بيضاء ليس فيها أحد، اختار ثلاثين فارساً من المسلمين، وخرج صامداً له حتى إذا دنا منه حمل عليه فأدركه وطعنه بالسيف وحز رأسه ونصبه في رمحه وكبر فانهزم الروم، وأُخذت ابنة «جرجير» فنفلها عبدالله بن سعد وفاءً بوعده.

إنه عبدالله بن الزبير. . . الذي قال الذهبي فيه: «بويع له بالخلافة عند موت يزيد سنة أربع وستين، وحكم على الحجاز، واليمن ومصر والعراق، وخراسان، وبعض الشام، إنه ابن الزبير، ابن حواريِّ رسول الله ﷺ، أمه أسماء بنت أبي بكر، وجدته لأبيه صفية بنت عبدالمطلب عمة رسول الله ﷺ، وعمة أبيه

خديجة بنت خويلد، أم المؤمنين، وخالته عائشة أم المؤمنين.

هؤلاء هم، ولتعش رؤوس الفجل في منابت حشائش العولمة... وهنيئاً لمن يزرع الجرجير ولو تحت...



حمزاه

رأى الطيور في أعالي السماء، ناداها قائلاً: يا طيور الهواء، بلغي أحرَّ تحياتنا، ومنتهى سلامنا، إلى أكبر ما حمى نائب غيج، أقرئي سلامنا أيضاً، للصبايا الجميلات، بلغيهن أن صدورنا الشماء، تتصدى لرصاصات الروس. أخبرنهن أن أمنيتنا كانت أن نرقد في مقبرة غيج بعد الموت، حيث ينوح إخواننا على قبورنا، ويُبدي قومنا حُزنهم علينا، لكن الله لم يتكرم علينا بذلك. لن يُسمع فوق أجسادنا بكاء إخوتنا، بل عواء الذئاب الجائعة. لن تحتشد حولنا جموع ذوي القربى. بل رفوف من الغربان السوداء. نموت وسيوفنا مجردة في أيدينا. تقتلع الغربانُ عيونَنَا وتمزق الذئابُ لحمَنا.

حمزاه لن تفلت إلا إذا نبتت لك أجنحة كالطيور المهاجرة، وطِرْت في الهواء. القائد الروسي سوف يعفو عنك، إذا استسلمت دون قتال. لا أخافك. . . إنني أسخر من كل قوتك. لأن أملنا بالله القوي القدير.

حوريات الجنة، ينظرن إلينا من نوافذهن في السماء، ويتعجبن: يتنافسن في الحصول علينا، التي ستكون من نصيب أشجعنا سوف تفاخر صديقتها، أما التي ستكون من نصيب الأقل شجاعة، فسوف يتورد وجهها خجلاً ليُسَوِّدَ وجه كل من يجبن منكم هذا اليوم، عندما يقف بين يدي الله.

سيجف التراب على قبري
أماه أماه
سوف تنسيني
سوف يموج العشب الكثيف فوقي
يا أبتاه يا أبتاه
لن تأسي على موتي
عندما تجف الدموع من عينيك السوداوين
أختاه يا أختاه العزيزة
لن يعود الحزن يستفزك
أما أنت يا أخي الأكبر، فلن تنسى أبداً
إذا لم يثأر لي أحد
وأنت يا أخي الأصغر، سوف تندم إلى الأبد
إلى أن ترقد بجانبي
ستأتين بسرعة كالنار، أيتها الكرة التي

تحملين الموت طالما احتقرْتُكِ لأني كنت حُرًّا
أيها التراب الأسود الذي داسك وحرك حصاني
الذي أحارب به سوف تغطي قبري
إنك بارد أيها الموت، لكنني كنت سيدك
إن جسمي يغور بسرعة في الأرض، أما روحي
فتنطلق إلى السماء بسرعة أكبر
ستثأر لي أخي. . . أثق في ذلك

بدأ «شامل» الشجاع الزعيم الذي لا يُقهر مع رجاله القلائل في تحصين المعقل الجبلي وجعله مستعصياً على الاقتحام ما أمكن. لكنه تذكر الماضي. . . فجأة أذاعت الإذاعة العربية في لندن البيان العربي التالي:

وإخوانٌ تخذتهم دروعاً
فكانوها، ولكن للأعادي
وخِلْتُهمُ سهاماً صائبات
فكانوها، ولكن في فؤادي

* * *

إلى الجنة يا حمزاه
ونحن ذاهبون إلى. . .

أنشودتان شيشانيتان كان المجاهدون مع الإمام شامل يرددونهما. . . استسلم الإمام شامل سنة ١٨٥٩م.



الضلال بن السبهلل

هكذا يعيش الكثير، لا في العير ولا في النفير، يصبح ويُمسي، وتمر أيامه ولياليه في البطالة المقنَّعة، قنع من الحياة بالعيش خارجها، فلا هو فيها ولا هو منها؛ فعادة الناس غالباً التعريج على أوطان الغفلة، وإجابة داعي الشهوة، والإخلاد إلى أرض الطبيعة.

قال عمر رضي الله عنه: «إني لأكره أن أرى أحدكم سبهللاً، لا في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة»، وهذا «السبهلل» كما في البيان العربي عن الأصمعي: جاء الرجل يمشي سبهللا، إذا جاء وذهب في غير شيء. وأحرى إذا قعد وكان كَوَتَدِ الحي الذي أنِسَ الذلَّ وأدمن الاستكانة «قُعَدَةٌ ضُجَعةٌ»، وقد كان شعار البطَّالين الذين فرحوا بتخلفهم عن رسول الله ﷺ ورضوا بأن يكونوا مع «الخوالف» وهو في صورهم الخشبية كما وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وإذا رأيتم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب

مسندة﴾ [المنافقون: ٤]، هذه «الخُشُب المُسَنَّدة» كانت كثيراً ما تردد ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾ [الفتح: ١١].

والحقيقة أن هؤلاء الملطوعين ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦]، لعلم الله فيهم ومنهم أنهم ليسوا أهلاً للقَوْمَةِ له سبحانه والنفرة في سبيله.

قال الحسن رحمه الله: إن المؤمن ـ والله ـ لا تراه إلا قائماً على نفسه. نعم ـ والله ـ يرحلُ بها إلى باريها، فإذا فترت رقد بها عبودية يحتسبُ فيها النومة كما يحتسب القومة ـ فلله هِمَّةُ نفسٍ قطَعَتْ جميع الأكوان، وسارت فما ألقت عصا السير إلا بين يدي الرحمن، تبارك وتعالى، فسجدت بين يديه سجدة الشكر على الوصول إليه، فلم تزل ساجدة حتى قيل لها: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٧ ـ ٣٠].

ليست له همة إلا في السؤال عن ربه كيف الطريق؟ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦].

قال صالح عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١].

يجد لذة غامرة عند مناجاة ربه، وأُنساً به، وقُرباً منه، حتى يصير كأنه يُخاطبه ويُسامرُه، ويعتذر إليه تارة، ويتملقه تارةً، ويثني عليه تارة، حتى يبقى القلب ناطقاً بقوله «أنت الله الذي لا إله إلا أنت».

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، فكيف يقعد عن طلب ربه؟ وقد نجا طالب لما نأى بصدره، إنه يخاف العودة إلى أرض الغفلة بعدما فارق بنيانها فهو يردد «لا تراجع» ألم يكن الأطهار من الصحب المختار يعملون الليل والنهار وشعارهم:

لـئـن قـعـدنـا والـنـبـي يـعـمـلُ
لـذلـك مـنـا الـعـمـل الـمـضـلـلُ

ألم يقل النبيُّ ﷺ «سيروا»؟ فكيف نقعد؟

قال أبو الحسن رحمه الله[1]: «هناك ملايين لم يزد طموحهم على التمتع بألوان زاهية، وأصوات مطربة، وأطعمه لذيذة، وأكثر من تقليد البلبل في

(١) هو السيد أبو الحسن الندوي ـ رحمه الله ـ وقد سعدتُ بلقائه أيام الدراسة بمكة المكرمة في جلسة خاصة. . . ثم بعدها بحوالي عقدين بالدوحة.

صوته، أو الطاووس في لونه، بل أكثر من مسايرة الماشية والغنم، والأنعام والدواب».

وماذا بعد هذا الضياع في بيداء العجز وموات الكسل أنت أيها العبد، ألهذا خُلقت؟

لا ـ والله ـ، ألم تقرأ: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [غافر: ٧٥]...



كلمة عظيم

أمَّا هو فإنه العلامة الشيخ طاهر الجزائري، وأما الكلمة فهي قوله ـ رحمه الله ـ وهو على فراش الموت:

(عدوا رجالكم، واغفروا لهم بعض زلاتهم، وعَضوا عليهم بالنواجذ لتستفيد الأمة منهم، ولا تنفروهم لئلا يزهدوا في خدمتكم).

والشيخ طاهر ـ رحمه الله ـ أعجوبة من أعاجيب الزمان، عاش بالعلم ومع العلم وعرف أقدار الرجال، «وكان ينكر على الظالمين ظلمهم، ويقبح الظلم وإن نال عدوَّه، وينصف الناس من نفسه»، وهل يعرف الإنصاف إلا الرجالات الكبار؟.

«وما أُحصي عليه أن نطق يوماً بفحش أو هراء أو سبٍّ، أو استعمال ما ينافي الأدب ويقدح في المروءة»، كان ـ رحمه الله ـ يعيش من بيع كتبه، «ولما كادت تنفد كتبه سأل أحمد تيمور باشا الشيخ علي يوسف أن يكلم

الخديوي في منحه مرتباً دائماً، أسوة بمن كان يمنحهم المرتبات من العلماء والأدباء، ونجحت الوساطة، ومُنح الراتب، فلما خُبِّر به غضب أشد الغضب، وقال للشيخ علي يوسف: كأني بك قلت للخديوي: إن الشيخ طاهراً أثنى عليك! نعم إني أثنيت عليه لتأييده مشروع زكي باشا في خدمة الكتب العربية، ولكن ما الذي يضمن لك ألا يأتي الخديوي بضد هذا العمل الطيِّب يوماً ما فَأَذُمَّهُ؟!، فماذا تُسَوِّدُ وجهك بسببي؟ ومن أذن لك أن تدخل نفسك في خصوصيات أمري؟ اذهب فأبطل ما سعيتَ بإتمامه!، ورجع يعيش عيش الكفاف والتقتير بأثمان ما بقي من كتبه!، فكان الشيخ علي يوسف يقول بعد ذلك: كنت أظن أن هذه الطبقة قد انقرضت، فلما رأيت الشيخ طاهراً علمت أن على وجه الأرض بقية منها».

«كان رحمه الله من علماء الاجتماع والعُمران، لتوغُّلِه بأدب الإسلام وتاريخه السياسي والإداري والعمراني وكل ماله مساس باجتماعياته، ووقوفه على طبقات أهله من الأمراء والوزراء والفلاسفة والعلماء وخاصته وعامته، واطِّلاعه على أسباب ارتقاء دُوَلِه وانحطاطها أو انقراضها، ووقوفه على أحوال الأمم السائرة القديمة والحديثة، واطِّلاعه على كل ما يترجم عن مدينة الغرب وسياسته واجتماعياته، واحتكاكه

بعلمائه المستشرقين. . . يراسلهم ويراسلونه، على اختلاف قومياتهم، من انكليز وإفرنسيس، ومجر، وألمان، وطليان، وإسبان، ونمسويين، وهولنديين، وإسويديين».

وتوسع الشيخ ـ رحمه الله ـ في مباحثاته مع علماء المِلَل والنِّحَل حتى قال عنه كُرْد علي «صحب بعض الزنادقة، وما زال يصبر على ما ينبو عنه سمعه من تصريحه وتعريضه، وما فَتِئ يلقنه أفكاره بالتؤدة مدة، حتى عاد به إلى حظيرة الدين، وهو لم يشعر ـ فيما أحسب ـ بما على عقله من التبدُّل».

وحقيق بمن كان هذا حاله وكانت هكذا نفسه وكان علمه. . . جدير بمؤسس الظاهرية والخالدية، العالم المتوقد الطُّلَعة المُتفنِّن الذي انفرد عن علماء عصره بمعرفة آثار السابقين ومؤلفاتهم.

جديرٌ به أن يعرف أقدار الرجال وأن ينزلهم منازلهم، وذهبية الإمام الذهبي تقول: «إن الكبير من أئمة العلم إذا كَثُرَ صوابُه، وعُلِمَ تَحَرِّيه للحق، واتَّسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعُرف صلاحه وورعه واتباعه، يُغفَرُ له زَلَلُهُ، ولا نضلله ونطرحه وننسى محاسنه، نعم: ولا نقتدي به في بدعته وخطئه ونرجو له التوبة من ذلك».

والحكمة تنادي «الفاضل من عُدَّت سقطاته، وليتنا أدركنا بعض صوابهم أ كنا ممن يَميزُ خطأهم».

إننا نعتقد أنهم بشر ليسوا معصومين ولكنهم رجالنا في زمان ندرت الرجولة وأنكرت على كثير ممن يدعيها لنا صوابهم ونحن معهم فيه ولهم خطؤهم ولن نكون معهم فيه، فهل من عاقل يدرك معنى الإنصاف.

لا تـأتـيَـنَّ بـذكـرنـا مـعِ ذكـرهـم
ليس الصحيح إذا مشى كالمُقعَد



سمعت شيخ الإسلام

كان رحمه الله ذا عبادة وتهجد وطول صلاة إلى الغاية القصوى، وتألهٍ ولهجٍ بالذكر، وشغف بالمحبة والإنَابة والاستغفار، والافتقَار إلى الله، والانكسار له، والاطراح بين يديه على عتبة عبوديته، لم أشاهد مثله في ذلك، ولا رأيت أوسع منه علماً، ولا أعرف بمعاني القرآن والسُّنَّة وحقائق الإيمان، وليس هو المعصوم، ولكن لم أرَ في معناه مثله، وقد امتُحن وأوذي مرات وأي مرَّات؟!! وأيّ امتحان يا بن رجب وأي أذية تلك التي تريد أن تخبر بها عن شيخك «ابن القيم» وأنت رأيت فيه ما رأيت، وذكرت عنه ما عرفت وأخبرت، عن أي بلية حلت بالقوم وقد أعمتهم العصبية التي كأنها عصبية جاهلية ومع من؟ مع ابن القيم... آه منك أيها التاريخ، أتعبتني خلفك، بالله عليك توقف، أهكذا يُفعل بالدُّعاة الهُداة؟!! أهكذا يكون الحال مع الرعاة الحداة؟!! يا رياح الجنة هبي

بنسمات الشوق فَرَوِّحي عن قلوب مّا كانت ولن تكون إلا لله.

القيود والأغلال للأجساد والأبدان، أما القلوب فشأنها شان، ليست بأيديكم، ولن تكون بين أيديكم جسد فأما القلب فهو للرب. ما الذي حدث يا بن حجر ماذا فعلوا بجسد الإمام؟

«اعتُقل مع ابن تيمية بالقلعة بعد أن أُهين وطيف به على جملٍ مضروباً بالدِّرَّةِ».

ـ مِحَنٌ من الله تعالى يبتليه بها، ففرضه فيها الصبر والتسلي ـ هكذا قلت وهكذا قولك يا بن القيم فكيف كان الحال... آه كيف كان حال شيخك؟ ماذا فعلْتَ وماذا فعَلَ؟ وهل سمعتَ؟ أظنك سمعت بل أنا على يقين أنك سمعت فما الذي سمعت؟

سمعتُ شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: «إن في الدنيا جنةً من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة». وقال لي مرةً: «ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي في صدري، وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خَلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي سياحة».

ماذا كان يقول لكم في محبسه في القلعة؟

كان يقول: لو بذلتُ لهم ملء هذه القلعة ذهبا ما

عدل عندي شكر هذه النعمة، أو قال: ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير.

والحبس والسجن والقيود والأسوار والجند والحراس، ماذا قال؟

قال لي: المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى، والمأسور من أسره هواه.

ولما أُدخل القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣].

وحاله يا شيخ ماذا رأيت؟

علم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم، بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً وأشرحهم صدراً، وأقواهم قلباً، وأسَرَّهُم نفساً، تلوح نضرة النعيم على وجهه.

وأنت والأصحاب كيف كان حالكم؟

كنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض، أتيناه فما هو إلا أن نراه، ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحاً وقوةً ويقيناً وطمأنينةً.

يا بن رجب ماذا فعل شيخك في حبسه؟

كان مشتغلاً بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكر، ففُتح عليه من ذلك خير كثير.

عد أيها التاريخ، عد من حيث أتيت، هُبّي أيتها الريح، رَوِّحي الروح، هُبّي، هُبّي وآه منك يا قلب.



سيدي تحفة (١)

هو نفسه القس «انسلم ترميدا» الذي أسلم وتسمى عبدالله الترجمان الميورقي نسبة إلى جزيرة «ميورقة»، وهي جزيرة في البحر الزقاقي «الأبيض المتوسط، جنوب اسبانيا» أما عن سبب تسميته «سيدي تحفة» فإنه لما أسلم ألف كتاباً لطيفاً أظهر فيه تناقضات الأناجيل، وأثبت بخبرته بالنصرانية تبديل أهلها لها وتلاعبهم بها، والكتاب كما يقول صاحبه عنه في مقصوده: الرد على النصارى في دينهم وثبوت نبوة سيدنا ومولانا محمد ﷺ بنص التوراة والإنجيل وسائر كتب الأنبياء صلوات الله عليه وعليهم أجمعين، ولما كان الكتاب فعلاً تحفة كان عنوانه «تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب» فأطلق العامة في تونس عليه «سيدي تحفة»، والفصل الأول في كتابه جعله لقصة إسلامه كما يقول: في ابتداء إسلامي وخروجي من دين النصرانية إلى الملة الحنيفية، فكيف كان ذلك؟

تبدأ حكايته من طفولته بقوله: كان والدي محسوباً من أهل حاضرة ميورقة ولم يكن له ولد غيري ولما بلغت ست سنين من عمري أسلمني إلى معلم من القسيسين، قرأت عليه الإنجيل حتى حفظت أكثر من شطره في مدة سنتين، ثم أخذت في تعلم لغة الإنجيل وعلم المنطق في ست سنين.

وعن رحلته لطلب علم الديانة النصرانية قال: ارتحلت من بلدي ميورقة إلى مدينة لاردة من أرض القسطلان وهي مدينة العلم عند النصارى في ذلك القطر... وبهذه المدينة تجتمع طلبة العلم وينتهون إلى ألف رجل أو ألف وخمسمائة ولا يحكم فيهم إلا القسيس الذي يقرؤون عليه، فقرأت فيها علم الطبيعيات والنجامة مدة ست سنين، ثم تصدرت فيها أقرأ الإنجيل ولغته ملازماً لذلك مدة أربع سنين.

هذا عن الرحلة الأولى فماذا عن الرحلة الثانية؟

قال: ارتحلت إلى مدينة بلونية من أرض الأنبردية... وهذه مدينة علم عند جميع أهل ذلك القطر، ويجتمع لها كل عام من الآفاق أزيد من ألفي رجل يطلبون العلوم ولا يلبسون إلا الملف، ولو يكون طالب العلم منهم سلطاناً أو ابن سلطان، فلا يلبس إلا

ذلك ليمتاز الطلبة عن غيرهم، ولا يحكم فيهم إلا القسيس الذي يقرؤون عليه.

فكيف أسلم ولماذا؟ تلك حكاية «البارقليط»، وبدايتها في هذه المدينة بسكناه في كنيسة القس «نقلاو مرتيل» وهو كما وصفه: كبير السن.. كبير القدر وكانت منزلته فيهم بالعلم والدين والزهد رفيعة جداً، انفرد بها في زمنه عن جميع أهل دين النصرانية، فصحبه «سيدي تحفة» وتقرب إليه واختص بخدمته وقرأ عليه علم أصول النصرانية، ولم يزل يتقرب إليه حتى دفع إليه مفاتيح مسكنه وخزائن مأكله ومشربه سوى مفتاح بيت صغير بداخل مسكنة كان يخلو فيه بنفسه.

وانتهى أمره كما قال: فلازمته على ما ذكرت من القراءة عليه والخدمة له عشر سنين، ثم أصابه مرض يوماً من الدهر، فتخلف عن حضور مجلس أقرانه، وانتظره أهل المجلس وهم يتذاكرون مسائل من العلوم إلى أن أفضى بهم الكلام إلى قوله عز وجل على لسان نبيه عيسى عليه السلام في الإنجيل: إنه يأتي من بعده نبي اسمه «البارقليط»، فبحثوا في تعيين هذا النبي من هو من الأنبياء، وقال كل واحد منهم بحسب علمه وفهمه فعظم بينهم في ذلك مقالهم وكثر جدالهم ثم انصرفوا من غير تحصيل فائدة في تلك المسألة، ولما

سأله أستاذه عن حوارهم وأجوبتهم نقلها إليه، وعقب عليها في تفسير حقيقة الكلمة بقوله: هذا الاسم الشريف لا يعلمه إلا العلماء الراسخون في العلم فأكب التلميذ على قدميه يقبلهما ويسأله تفسير الكلمة ويتشفع إليه لكل ما كان منه... فبكى الشيخ وقال لي: يا ولدي... والله أنت لتعز عليَّ كثيراً من أجل خدمتك لي وانقطاعك إلي معرفة هذا الاسم الشريف، فائدة عظيمة، ولكني أخاف عليك أن يظهر ذلك عليك فتقتلك عامة النصارى في الحين.



سيدي تحفة (٢)

لم يخف القس «انسلم ترميدا» على نفسه، ولم يهب القتل، وراح يتوسل إلى أستاذه القس الأعظم، وقال له: يا سيدي والله العظيم وحق الإنجيل ومن جاء به لا أتكلم بشيء مما تسره إليّ إلا عن أمرك.

اطمأن أستاذه إليه وقال له: يا ولدي إني سألتك في أول قدومك عليَّ عن بلدك وهل هو قريب من المسلمين؟ وهل يغزونكم أو تغزونهم لأختبر ما عندك من المنافرة للإسلام، فاعلم يا ولدي أن البارقليط هو اسم من أسماء نبيهم محمد ﷺ وعليه نزل الكتاب الرابع المذكور على لسان دانيال عليه السلام وأخبر أنه سينزل هذا الكتاب عليه وأن دينه هو دين الحق وملته هي الملة البيضاء المذكورة في الإنجيل.

إنه اعتراف بنبوة أحمد ﷺ وصحة ديانته وصدق كتابه، اهتز له كيان التلميذ ودفعه ليسأل أستاذه بقوله: يا سيدي وما تقول في دين هؤلاء النصارى؟ فأجابه

بقوله: يا ولدي لو أن النصارى أقاموا على دين عيسى الأول لكانوا على دين الله، ولكن بدلوا وكفروا.

أمام هذه الاعترافات الجريئة لم يملك التلميذ إلا أن يسأل أستاذه بقوله: يا سيدي وكيف الخلاص من هذا الأمر؟ وكانت الإجابة على مستوى الحديث من الصراحة والقوة فقال الأستاذ: يا ولدي بالدخول في الإسلام. قال التلميذ لأستاذه: وهل ينجو الداخل منه؟ فقال له: نعم ينجو في الدنيا والآخرة، امتد الحوار بين التلميذ والأستاذ وانتقل من الناحية العلمية إلى العملية مع تخوف الأستاذ من أن يفشي التلميذ ما أفضى به إليه من حقائق وتحذيره بقوله: اكتمه بغاية جهدك وإن ظهر عليك شيء منه قتلتك العامة لحينك، ولا أقدر على نفعك ولا ينفعك أن تنقل ذلك عني فإني أجحده، وقولي مصدق عليك وقولك غير مصدق علي، وأنا بريء من ذلك إن فهت بشيء من هذا.

أخذ التلميذ بإعداد العدة للرحلة إلى بلاد الإسلام طالباً النجاة، وزوده أستاذه بخمسين ديناراً من الذهب، وسافر إلى صقلية، ومنها ركب سفينة إلى تونس، وسمع به أحبار النصارى فأتوا إليه وحملوه معهم، ونزل في ضيافتهم أربعة أشهر في رغد من العيش، وسألهم عن أحد يحفظ لسان النصارى فدلوه على طبيب

السلطان أبي العباس الحفصي فذهب إلى مسكنه وشرح له سبب قدومه وأنه ما جاء إلا للإسلام ففرح به ونقل خبره إلى السلطان، قال: فمثلت بين يديه، فأول ما سألني السلطان عن عمري، فقلت له: خمسة وثلاثون عاماً، ثم سألني عما قرأت من العلوم فأخبرته، فقال لي: قدمت قدوم خير فأسلم على بركة الله، فقلت للترجمان ـ وهو الطبيب المذكور ـ: قل لمولانا السلطان إنه لا يخرج أحد من دينه إلا ويكثر أهله القول فيه والطعن عليه، فأرغب من إحسانكم أن تبعثوا إلى الذين بحضرتكم من تجار النصارى وأحبارهم، وتسألوهم عني وتسمعوا ما يقولون في جنابي، وحينئذ أسلم إن شاء الله تعالى، أرسل السلطان إلى أحبار النصارى وجاء بهم وأدخله في بيت قريب يسمع كلامهم وسألهم: ما تقولون في هذا القسيس الجديد؟ قالوا: هذا عالم كبير في ديننا، وقالت شيوخنا إنهم ما رأوا أعلى من درجته في العلم والدين، فقال لهم السلطان: وما تقولون فيه إن أسلم؟ قالوا: نعوذ بالله من ذلك، هو ما يفعل ذلك أبداً. فخرج عليهم من مكانه وشهد شهادة الحق وأسلم فصلبوا على وجوههم، وقالوا: ما حمله على هذا إلا حب التزويج، فإن القسيس عندنا لا يتزوج، وخرجوا مكروبين محزونين... نعم إنه أراد أن يتزوج من امرأة مسلمة وهي متاع الحياة الدنيا وهو رجل مسلم موعود

كذلك بالحور العين في الجنة إن شاء الله.

قال عن زوجته في الدنيا: فبنيت بها وولد لي منها ولد سميته محمداً على وجه التبرك باسم النبي ﷺ.



أليعاذر

كلما قرأت في التراث الصوفي، أكاد أذهل من حجم المفاجأة التي تصعقني بتبرجها الفاضح كشفاً للعلاقة الآثمة بين الفكر الصوفي واليهودي فكأنهما رضعًا في ماخور واحد لبان بغي أثيم، فهذا الرباني أليعاذر كما ذكر التلمود لم يترك امرأة في العالم بأسره من غير أن يضاجعها، وفي بعض الأيام سمع أن واحدة منهن تقتضي مضاجعتها صندوقاً من الذهب. فحمل الصندوق وذهب إليها قاطعاً سبعة أبحر.. وبعد موت الرباني أليعاذر نادى الرب من السماء: «إن الرب أليعاذر قد دخل الحياة الأبدية.. أي الجنة».

وطبعاً هذا لتنال البركات كما قال الشعراني في الطبقات في كرامات الشيخ محمد الشويمي أنه كان يحسس على النساء الأجنبيات، فيشكين أمره لأبي مدين، فيقول: حصل لكم الخير، فلا تتشوشوا!

وآخر صيحاتهم كما ذكر في جامع الكرامات: أن

فلاناً وضع فمه في بركة ماء، وأخرج إحليله «ولم يزل كذلك يدخل الماء من فمه ويخرج من إحليله إلى أن فرغت البركة وهي من أعظم كراماته، فاعتقده الوالي وغيره اعتقاداً عظيماً».

ولا بد من الاعتقاد العظيم لنضرب إسرائيل بصواريخ «الإحليل» و«ليبتهج بنو صهيون بملكهم، ليسبحوا اسمه برقص، بدف وعود، ليرنموا له لأن الرب راض عن شعبه.. سبحوه بِرَباب وعود، سبحوه بدف ورقص، سبحوه بأوتار ومزمار».

ـ المزامير ـ المزمور (١٤٩، ١٥٠) «العهد القديم» ـ.

والسماع كما يقولون يحتاج إلى زمان ومكان وإخوان، فمن إخوانهم؟!!

قال المريد عن سلطان العاشقين: «دفع إلى دراهم، وقال: اشتر لنا بها شيئاً للأكل، فاشتريت ومشينا إلى الساحل، فنزلنا في مركب، حتى طلع البهنسا، فطرق باباً، فنزل شخص فقال باسم الله، وطلع الشيخ، فطلعت معه، وإذا بنسوة بأيديهن الدفوف والشبابات، وهم يغنون له فرقص الشيخ إلى أن انتهى، وفرغ ونزلنا، وسافرنا حتى جئنا إلى مصر، فبقي في نفسي شيء، فلما كان في هذه الساعة جاءه الشخص

الذي فتح له الباب، فقال له: يا سيدي فلانة ماتت ـ وذكر واحدة من أولئك الجواري ـ فقال: اطلبوا الدلال، وقال: اشتر لي جارية تغني بدلها، ثم أمسَك أذني، فقال: لا تنكر على الفقراء»!

ولماذا المرأة؟ لأن الأمر عندهم كما يقول في «الفصوص»: شهود الحق في النساء أعظم الشهود وأكمله، ولذلك ظهر أخيراً في أميركا «حاخام الحب» والذي يسمى نفسه «رسول الحب!!!» بعد ما ألف عن «الجنس المباح» واستطاع بنفوذه الإعلامي أن يمتد وعوداً كوعد «بلفور» بالغرام وليترجم كتابه إلى لغات العالم لتسارع الفضائيات باللقاءات، ولا عجب من بني يهود؛ فالمرأة فتنتهم الأولى وهم وقودها «وإن أول فتنة بني إسرائيل كانت النساء» وهي ألعوبتهم في كل زمان ومكان، ومن قرأ تراثهم وتأمل توراتهم المبدلة وتلمودهم الشرير على من يكون القوم ومن تكون المرأة لديهم، وأين الجنس في دينهم؟... إنهم اليهود وهذا تراثهم، وهذا تاريخهم، وهذا واقعهم، والداهية الكبرى أن تتسرب أفكارهم إلينا وأن يحملها قوم عرفوا بأساطيرهم وخداعهم، وقد روى أبو عبدالله البخاري في صحيحه في الشهادات أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله،

وغيروا بأيديهم الكتاب، فقالوا: هو من عند الله ليشتروا ثمناً قليلاً؟ أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم؟ قال أبو فهر رحمه الله: صدق ابن عباس فيما قال في زمانه، ولا يزال صادقاً في زماننا!!.



هذا دين سوء

كلمة جاهلية تفضح حقيقة قائلها، وتلقي به في مزبلة أحراش التعفن، لأنها تعري باطنه الداخلي المشوش بعنكبوتية العلاقات (وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت).

وفي حقيقة تصور كل من اتخذ من دون الله أولياء بسذاجة التفكير، وضحالة الرشد... والعنكبوت ـ حشرة ضعيفة رخوة واهنة لا حماية لها من تكوينها الرخو، ولا وقاية لها من بيتها الواهن؛ فكيف تحمي نفسها؟!!، وكيف تحمي غيرها؟!!

لكنها الجاهلية التي تصر دوما عبر تاريخها على الفرار عن الله بدعوى «العلم التجريبي» مثلما ذكر ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١] قال: كان الرجلُ يَقْدُمُ المدينة، فإن ولدت امرأته غلاماً، ونُتِجتْ خَيلُهُ، قال: هذا دين صالح، وإن لم تَلِدِ امرأتُهُ ولم تُنتَجْ

خيلُهُ، قال: هذا دين سوء. فالمسألة ليست عقيدة ثابتة في القلب لا تهتز، بل هي مجرد «تجربة» يتوقع لها «الفشل، والنجاح» فإن أثمرت الأحوال قال: هذا دين صالح، وإن تخلفت قال: هذا دين سوء، والحكم هنا طبعاً ارتكز عند صاحبه على التجربة «ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي» وهذا الجاهلي كما قال الله في وصفه بدايةً في بداية الآية الكريمة ﴿يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ﴾ ـ وهو تمثيل لحال المتردد في عمله، يريد تجربة عاقبته بحال من يمشي على حرف جبل أو حرف وادٍ فهو متهيئ لأن يزل عنه إلى أسفله فينقلب، أي ينكب.

قال ابن عطية: هذه الآية نزلت في أعراب وقوم لا يقين لهم. وهذا هو سر انقلابهم لأنهم «لا يقين لهم» واليقين رسوخ العقيدة. والعقيدة هي الركيزة الثابتة في حياة المؤمن، تضطرب الدنيا من حوله فيثبت هو على هذه الركيزة وتتجاذبه الأحداث والدوافع فيتشبث هو بالصخرة التي لا تتزعزع، وتتهاوى من حوله الأسناد فيستند هو إلى القاعدة التي لا تحول ولا تزول، وهذا المسكين كما وصفه الله تعالى ﴿عَلَىٰ حَرْفٍۖ﴾ طرف من الدين لا في وسطه وقلبه، في حركة جسدية متأرجحة قابلة للسقوط عند الدفعة الأولى.

وهذه الطرفية تثبت إلى أبعد مدى بلغ جهلهم فهُم في معرفتهم بربهم ﴿عَلَىٰ حَرْفٍۖ﴾، وهم في منظومة معارفهم عن دينهم ﴿عَلَىٰ حَرْفٍۖ﴾ يكتفي أحدهم بموقع بعيد جداً لا يريد منه أن يعرف ولا يحب أن يعرف بل هو يجربُ من بعيد، ويترقب وهو في شك وريب من دينه.

وتلك ديدنة الرافضة لدين الله الصادين عنه مع اختلاف الزمان والمكان، يعيشون «أمية» دينية قاحلة بمعلومات بتراء شوهاء لا تجاوز حناجرهم، لا يستطيع أحدهم أن يقيم «آية» من كتاب الله تعالى، لكنه ينصّب نفسه مجتهداً في الدين، وحاكماً عليه، فيصحح ما يهواه، وينسف ما لا يروق له في طرفية لا يقبل فيها حواراً ولا يجيب نداءً!!!

ضارباً بكل الثوابت الدينية عرض الحائط، فهو رغم شهاداته التغريبية إلا أنه «أعرابي» في معاملته لربه، وفهمه لدينه، والآيات كاشفة لحاله في الدنيا والآخرة، وبها عبر لمن تدبر وتفكر.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ
ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا
وَٱلْأَخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ
ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ

﴿١٢﴾ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ
ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾ [الحج: ١١ ـ ١٣].

معنى «على حرف» على جنب بلا
تـمـكـنٍ مـذبـذبـاً مـزلـزلا



آه

من يملك الصراخ؟ من يقدر على أن يقول بكل فمه وبكامل إرادته... آه... من يجرؤ عليها وهي تصادر من كل الأفواه... أهكذا البشرية في عصر الحضارة والمدنية... حرامٌ أن تصرخ ومباح لك وحلال عليك أن ترقص وتغني، في كوسوفا تُنتهك الأعراض، في كوسوفا تُسلب الأرض وتُحرق، تسقط المآذن وتدنس المحاريب، وتقام على أنغام الديسكو المجازر ويختلط دخان الحرائق بزفرات المعذبين، وتهرب صرخات اليتامى أمام الطلقات الحرة في استاد المجرمين... وكأن الأمة في ملعب بلا حكم أو راية بيضاء أو حتى حمراء قانية كسيول الدماء النازفة، من يملك الصراخ؟؛ والأمة مغيبة في سكرات الغفلات ومخدرات الأغنيات وفِرق القطط الأربعة أو الخمسة، ودلع الحبايب، ولغز المحبين، اجمعوا يا قوم فتافيت الألم واسألوا قواميس الحزن

فلن تجدوا كلمة تستطيع أن تعبر عن مأساة الأمة التي نسيت من تكون، واقتلعت جذورها الممتدة في تاريخ المجد، وشرقت حتى أمست في ظلام دامس وهي الآن تغرب فهل مع الغروب تغيب؟

متى يطلع صبحها وخفافيش الليل يحبون الليالي العمياء ليمتصوا الدماء، وقعت الكارثة... وجمعنا التبرعات فماذا بعد؟ وماذا قبل؟

قبل: شيوعية حاقدة حاربت كلمة «الله» فأنست الإنسان هناك من يكون ووأدت العقيدة في القلوب لنراها اليوم وكأنا لا نعرفهم وهم منا ونحن منهم.

وتستمر المأساة وتتابع فصول الكارثة في مسرحية «تغريب الأمة» وقد نجحوا ولكن إلى حين.

الاستعلاء الأبيض للإنسان الأبيض في حضارة الأبيض الذي يريدنا «مُلوَّنين» ولكن بصبغة «اللا أمة» حتى يبقى هو «السيد» ونكون نحن «العبيد»، إنه هو الذي اخترع صراع الحضارات، وهو الذي يتصورنا دائماً بمنظاره الأسود وهو الرجل الأبيض، هو الذي اخترع الخوف منا ليبرر لنفسه كل ما يفعله بنا فنحن في فكره ومخيلته وحوش ـ ولكن ليست آدمية ـ لا يحق لها الحياة فضلاً عن تقرير المصير.

فهؤلاء «المسلمون» في كوسوفا «انفصاليون» يريدون دولة إسلامية في أوروبا الصليبية، إنهم أحفاد مراد العثماني ومحمد الفاتح وسليمان القانوني؟ فإذا تركناهم فالويل لنا منهم سيعودون علينا بِكَرَّتِهِم ولذا لا بد من القضاء عليهم، والصرب أمة واحدة أما هؤلاء فأمم شتى، نحن نصارى حضاريون وهم همجيون لا يستحقون الحياة فلماذا لا يُقتلون؟!! ولماذا لا يُشرَّدون؟!!.

وماذا سيفعل لهم أبناء جلدتهم؟ إنهم لن يفعلوا لهم شيئاً، سيجمعون لهم التبرعات وبعد حين سيتركونهم ليواجهوا مصيرهم معنا، ولو عادوا فنحن السادة وهم العبيد، وأمتهم لن تستطيع الصراخ ستنسى «آه» الألم لتردد «آه» النغم، سيسكرون بالغفلات عن حقيقتهم وسينسون أنفسهم، سنغرقهم في بحار الشهوات، سندمر عقولهم بالشبهات، سنزلزلُ يقينَهم بربِّ الأرض والسموات، سنجعلهم ينسون ماضيهم ويتناسون مستقبلهم، والخطة مُحكمة، سنكمم أفواه «آه» الألم وسنطلق «آه» النغم، سيرقصون ويمرحون، سيأكلون ويشربون وسينسون من نحن ومن نكون.

«يا رب ارحم من لا راحم له سواك، يا رب انصر من لا ناصر له إلاَّ إياك، يا رب أغِثْ من لا

يعرفُ إلاًّ بابَك ولا يلوذُ إلا بحِماك ولا يلجأ إلاً إليك، يا رب من غيرك ونحن لا نعرف إلا أنت؟ فكن لنا وارحمنا، فأنت «الله» يا «رب».



سكنجبين الليمويه

هكذا فجأة أحسست أن الدنيا من حولي كلها تدور بي، أمسكت رأسي، وحاولت أن أنظر تحت قدمي فإذا الأرض قد ساخت حتى لكأني لست فوقها... أخيراً استسلمت لواقعي وجاء الطبيب فوجدني فزعاً فقال هَوِّن عليك إنها «انفلونزا» ولكنها معوية، يا رب كيف سأسافر غدا إلى القاهرة؟ كيف سأجيب على الأسئلة؟ تمالكت وأنا أعجب، وربما كدت أضحك أو أبكي، أمراض عصرية، أمراض قديمة، أين الجديد؟ وما هو القديم؟ «يا معشر المهاجرين! خصال خمس إذا ابتُليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهنَّ» لقد ابتُلينا بهن، ومن رحمته ﷺ بأمته أن استعاذ بربه في قوله «وأعوذ بالله أن تدركوهن».

فما أولى الخمس؟ بيَّنها ﷺ بقوله: «**لم تظهر الفاحشةُ في قوم قطُّ**»، ما معنى ظهورها؟

«حتى يعلنوا بها» في مؤتمرات الإسكان، في

وسائل الإعلام... في الإنترنت... في... في...
ولو كان كذباً في آخرها «عبده» وهاء الضمير تعيش باب ضمير، قال ﷺ «إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا».

ورحم الله التميمي «محمد بن أحمد» طبيب القرن الرابع الهجري إذ يقول: عن ارتفاع الأبخرة المتصعدة إلى الجو عن المياه المحدقة بكثير من البدن، وعن أبخرة الأعفان المستكنة في بطون الأرض التي تجتذبها الشمس بشدة حرها إبان القيظ وأوقات السمائم المخالطة للجو المفسدة لمزاجه المحيلة له إلى أن يصير سبباً لحدوث الأوباء وكون الطواعين.

رحمه الله: لقد ارتفعت القيم الهابطة وتراقصت الأعفان القذرة واشتد قيظها في زمان البرد وأوان الصقيع، اسألوا «منظمة الصحة العالمية» فهي بلا شك أخبر مني بأمراض مصارعة «الحيوان» التي جرتها «الفاحشة» «حتى يعلنوا بها» وقد أعلنوها بكل اللغات وهي إحدى مميزات العصر الحميري كما قال ﷺ «يتهارجون تهارج الحُمُر» وفي رواية أبي يعلى «يقوم الرجل إلى المرأة، فيفترشها في الطريق»... قال الإمام القرطبي معلقاً على حديث أنس «ويظهر الزنا» في هذا الحديث عَلَمٌ من أعلام النبوة، إذا أخبر عن أمور

ستقع، خصوصاً في هذه الأزمان، والقرطبي عاش ومات في القرن السابع سنة (٦٥٦ هـ) رحمه الله فكيف إذا رأى احتفالات الألفية؟!!

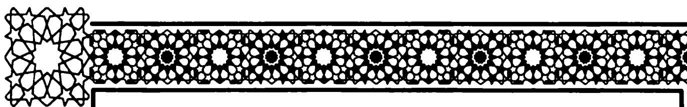
وأمراض المادة كما يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ أسبابها معها تمدُّها، وإذا كان سبب المرض معه، فالنظر في السبب ينبغي أن يقع أولاً، ثم في المرض ثانياً، ثم في الدواء ثالثاً.

والسؤال الأول عن أسباب الفاحشة.

والسؤال الثاني عن مرض الطاعون الفسقي.

والسؤال الثالث عن الدواء... هكذا إذا أردنا أن نكون عقلاء على ما ذكره الإمام ابن القيم، وإلا فالدواء كما يقول التميمي ـ رحمه الله ـ «سكنجبين الليمويه» وهو دواء وصفه بقوله: نافع من لدغ الأفاعي والحيات والعقارب والجرارات والكرورا «ممتحن به عجيب النفع» لكن هل يداوي هذا الدواء لدغ أولاد الأفاعي من بني صهيون الذين يسعون في الأرض فساداً، وأول سمومهم «السعار الجنسي» ليعيش العالم كله ـ وفق نظريتهم الحميرية التلمودية ـ حميراً، كلما نفق حمارٌ ركبوا حماراً آخر، ولا عزاء للأمميين لأن قاعدتهم الكبرى ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: ٧٥].





الفهرس